
روايات مصرية للجيب
٣٧
إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
ذراع الأخطبوط
RASHID
WWW.DVD4ARAB.COM

١ ــ ينـابيع الشر ..

تقع دولة (سيدوراس) فى أقصى الجنوب الغربى ، فى قارة (أمريكا الجنوبية)(*) ، حيث تطلُّ على المحيط الهادى ، وهى دولة صغيرة ، لا يزيد تعداد سكَّانها على ثمانمائة ألف نسمة .. وعلى الرغم من عدم وضوحها فى معظم الخرائط ، إلا أنها قد احتلَّت ــ فى الآونة الأخيرة ــ مركز الصدارة ، وسط الدول المنتجة والمصدِّرة لأبشع مُنْتَج فى التاريخ ، الهيروين ، وغدت منبعًا رئيسيًّا للمهربين ، ومرتعًا لآلاف العاملين فى تلك التجارة المحرَّمة ، ومصدرًا لقلق جميع إدارات مكافحة المخدِّرات فى العالم ، وعلى رأسها (مصر) .. ولقد استقبل وزير الداخلية المصرى ، فى حجرة مكتبه ، وزير داخلية (سيدوراس) ، الذى جاء فى زيارة رسميَّة لـ (مصر) ، حيث حضر الاستقبال عدد من كبار رجال الأمن فى الدولتين ، وعلى رأسهم اللواء (مراد حمدى) ، مدير إدارة العمليات الخاصة المصرية ، المعروفة باسم المكتب رقم (١٩) .

(*) كل الأسماء والشخصيات فى الرواية ، من وحى خيال المؤلف ، ولا صلة لها بالواقع .

وبعد التصافح ، وعبارات المجاملة التقليدية ، توجَّه الجميع إلى قاعة الاجتماعات ، والتفُّوا حول مائدتها الضخمة ، وبدأ وزير داخلية (سيدوراس) الحديث ، قائلًا :

ـــ لقد أتينا إلى بلدكم الصديق ؛ لتوقيع عدد من الاتفاقيات الهامة ، وتنظيم تبادل الخبرات ، فى مجال الأمن العام ، بين دولتينا .. وقبل أن نبدأ مناقشاتنا ، أودُّ أن أسجِّل تقديرى البالغ ، لإسهامكم الفعَّال فى إلقاء القبض على واحد من أخطر تجَّار المخدرات فى العالم ، وهو (جوزيه لاراز) .. إن مبادرتكم الكريمة بتسليم هذا المجرم لنا ، لمحاكمته فى بلادنا ، وتنازلكم عن حقكم فى محاكمته فى بلادكم ، على الرغم من إلقاء القبض عليه داخل حدودكم ، وعلى الرغم من أننا لم نوقِّع بعد اتفاقية تبادل المجرمين بين بلدينا ، قد أثلجت صدورنا ، ونحن نتقدَّم إليكم بالشكر على موقفكم المشرِّف هذا .

أجابه وزير الداخلية المصرى :

ـــ سيِّدى الوزير .. لقد تنازلنا عن حقِّنا فى محاكمة (جوزيه لاراز) ؛ لنعبِّر لكم عن صداقتنا ، ولنثبت لكم حسن نوايانا ، تجاه معاهدة تسليم المجرمين ، التى نسعى

لتوقيعها اليوم .. ولأننا نرغب فى تعاونكم معنا ، لتحقيق ما هو أكبر من إلقاء القبض على تاجر مخدرات .. دَعْنا نتصارح يا سيِّدى الوزير .. إن محاكمة (لاراز) ، وإيداعه السجن ـــ ولو مدى الحياة ـــ لن تنهى ذلك الكابوس ، الذى تعانيه دولتانا ، ويعانيه شعبانا ، والعديد من شعوب العالم وحكوماته .. وأعْنى به كابوس تجارة المخدرات ، التى يستغلها المجرمون لتحقيق أرباح طائلة وسريعة ، دون الاهتمام بما تسبِّبه تلك السُّموم من تدمير للشعوب والحضارات ..

إن (لاراز) ، على الرغم من اضطلاعه بالعديد من عمليات التهريْب الدولية ، التى نجح خلالها فى نقل تلك السُّموم إلى عدد كبير من الدول ، ليس سوى أحد عشرات الرءُوس ، التى تختفى خلفها مئات أخرى ، وربَّما آلاف ، وكل تلك الرءُوس تتخذ (سيدوراس) موطنًا رئيسيًّا لها ، ويعجز رجال شرطتكم ـــ مع الأسف الشديد ـــ عن التصدِّى لـ (مافيا) المخدِّرات ، التى تسيطر على مناطق عديدة فى دولتكم ، لسبب أو لآخر .. والمشكلة فى رأيى لن تُحلَّ ، إلا بالقضاء على الرأس الأكبر لهذه التجارة اللعينة ، وإغلاق نبع السُّموم من منبعه .. ونحن نرغب فى أن تتشابك

أيدينا ، وتتحوَّل إلى يد واحدة ؛ لإنقاذ شعبينا ، وشعوب العالم كله ، من ينابيع الشر .

صمت وزير داخلية (سيدوراس) برهة ، قبل أن يقول :

ــ سيِّدى الوزير .. لقد طرحت رأيك بكل صراحة ، وهذا يغرينى على فعل المثل .. إن دولتنا حديثة الاستقلال ، ولقد كنا عاجزين ــ حتى وقت قريب ــ عن إدارة شئون دولتنا بأنفسنا ، بعد أن رزحنا لعشرات السنين تحت وطأة استعمار غاشم ، تحكَّم طويلًا فى إدارة دفَّة الأمور فى البلاد ..

وقد يدهشك أن تعلم أن ذلك الاستعمار ، كان وراء ظهور وانتشار تلك التجارة اللعينة فى بلادنا ، وأنه أوَّل من بدأ زراعة الأفيون ، فى مزارع خاصة ، أدارها رجال عصابات (المافيا) العالمية الشهيرة ، الذين لم يبخلوا فى تقديم أموالهم عن طيب خاطر ، ليدعم بها المستعمر قوَّاته العسكرية ، مقابل غضّ النظر عن عمليات تهريب المخدرات ، التى يقومون بها كما كان انتشار تلك السموم يهدم شبابنا ، ويلهيه عن مقاومة الاحتلال ، مما يثبِّت أقدامه فى وطننا ..

ورحل المستعمر عن بلادنا ، ولكنه خلَّف وراءه ينابيع الشر ، التى تتحدَّث عنها ، بعد أن أصبحت أكثر قوة وثراءً ،

بحيث يمكنها استخدام العنف ، والرِّشوة ، والإرهاب ، بل السلطة أحيانًا ، للإبقاء على نشاطها غير المشروع ..

إننى أقولها ــ بكل أسف ــ : إن الرِّشوة والفساد منتشران فى بلادنا ، حتى فى أوساط الشُّرطة ، وبعض كبار المسئولين ، أضف إلى ذلك خبراتنا المحدودة ، فى مجال مكافحة المخدرات ..

ولست أخفى عليك أن أحد أسباب قدومنا إلى هنا ، هو طلب المساعدة ؛ للقضاء على سرطان المخدرات ، الذى استشرى فى بلادنا ، وتوغَّل فى أعماق مجتمعنا ..

لقد سبق أن استعنَّا بمباحث المخدرات الأمريكية ، ووكالة المخابرات المركزية أيضًا ، إلَّا أن كليهما لم ينجحا فى التوصُّل إلى الرأس الكبير ، الذى يتحكَّم فى هذه التجارة البشعة .

وفى صوت هادئ رخيم ، قال اللواء (مراد) ، وهو يركِّز بصره على وجه وزير خارجية (سيدوراس) :

ــ إن لدىَّ شخصًا يمكنه أن ينهى هذه المشكلة .

التفت إليه الحاضرون فى دهشة ، وغمغم وزير داخلية (سيدوراس) فى حَيْرة :

ــ هل قلت شخصًا واحدًا يا سيادة اللواء ؟!

وبكل ثقة ، أجابه اللواء (مراد) :

ـ نعم يا سيِّدى الوزير .. شخص واحد .

سأله وزير الداخلية المصرى ، وهو لا يقلُّ دهشة عن باقى الحاضرين :

ـ ومن هذا الشخص يا (مراد) ؟

عقد اللواء (مراد) ساعديه أمام صدره ، وتراجع بظهره إلى مسند مقعده الخلفى ، وهو يدير عينيه فى وجوههم ، مجيبًا :

ـ أفضل رجالى ، فى المكتب رقم (١٩) .

وابتسم فى ثقة وفخر ، وهو يستطرد :

ـ المقدِّم (ممدوح عبد الوهاب) .

* * *



٢ ـ أذرع الأخطبوط ..

وصل (ممدوح) فى ساعة مبكِّرة إلى (سيدوراس) ، حيث كان ينتظره مندوب وزارة الداخلية ، الذى اصطحبه إلى المسكن ، الذى أُعِدَّ له ، فى أحد ضواحى العاصمة ، حيث ترك متعلِّقاته ، ثم اصطحبه المندوب إلى إدارة مكافحة المخدرات بالعاصمة ..

ومنذ بدأ (ممدوح) رحلته ، من القاهرة ، ورأسه تحمل العشرات من الأفكار .. فهو يعلم أنه فى طريقه إلى دولة تسبح فوق بحيرة من المخدرات ، وأن فروع هذه البحيرة وشرايينها تمتد إلى مناطق مختلفة من العالم ، ومن بينها وطنه (مصر) ، الذى أصبحت (سيدوراس) المصدر الرئيسى لمعظم ما يرد إليه من سموم ..

تلك السُّموم التى أوْدَت ، وما زالت تُودِى بحياة الآلاف من مواطنيه ، برغم الجهود المكثَّفة ، التى يبذلها رجال مكافحة المخدرات فى (مصر) ، والتى لا تحُول بين المهرِّبين ، وبين

ابتكار وسائل وأساليب جديدة ومتنوِّعة ؛ لإدخال ذلك السُّم الأبيض إلى البلاد ؛ لذا فقد قرَّرت الجهات العليا أن تعلن حربًا لا هَوادة فيها ، على ذلك السُّم ، فى منابعه الأصلية .. وأحد هذه المنابع يكمن فى (سيدوراس) ..

واستعاد (ممدوح) كلمات اللواء (مراد) ، وهو يكلِّفه هذه المهمة ، قائلًا :

ـــ المخدرات بمثابة وباء قاتل لحياة الفرد ومستقبله يا (ممدوح) ، إذا ما تسلَّل إليه ، وضمَّه إلى زمرة المدمنين .. وإذا ما رجعت إلى سجلَّات مكتب مكافحة المخدرات لواجهتك عشرات ، بل مئات القصص المأساوية ، التى كانت المخدرات هى بطلتها السَّوداء ، بل إن هذا الداء ، لو أصاب أُمة ، لأسلمها إلى ضياع كامل ؛ لذا أقول ـــ دون مبالغة ـــ إن جزءًا كبيرًا من مستقبل هذا الوطن ، يتوَّقف على نجاحك فى مهمتك ، والقضاء على تلك السموم ، التى تتسلَّل إلينا من (سيدوراس) ؛ لتدمِّر شبابنا وشعبنا ..

وكلَّما تذكَّر (ممدوح) تلك الكلمات ، شعر بجسامة المسئولية المُلقاة على عاتقه ، وبرغم معرفته المسبَّقة بأنه مقبل على مواجهة عنيفة ، مع قوى كبرى شريرة ، ذات نفوذ

وسلطان ، ولديها استعداد دائم للدفاع عن مكاسبها فى وحشية وشراسة ، إلَّا أنه كان يصرُّ على تلك المواجهة ، دون تردُّد أو تخاذل ، كما هى عادته دائمًا ، فى كل مهمة انتحارية تُسند إليه ..

وحينما وصل (ممدوح) إلى إدارة مكافحة المخدرات فى (سيدوراس) ، استقبله رئيسها فى مكتبه ، وصافحه قائلًا :

ـــ مرحبًا بك فى بلادنا ، وفى إدارتنا أيها المقدَّم .. لقد بلغتنا أنباء بطولاتك وانتصاراتك ، ويسعدنا أن تتعاون معنا فى مهمتنا الشاقَّة ؛ لمكافحة المخدرات .

ممدوح :

ـــ يشرِّفنى أن أعمل معكم يا سيِّدى ، وأرجو أن ننجح بتعاوننا فى القضاء ، بصورة جذرية ، على تجارة الهيروين ، التى تمتدُّ شرورها إلى مناطق متفرِّقة من العالم ، وعلى رأسها موطنى .

جلس رئيس مكافحة المخدرات خلف مكتبه ، ودعا (ممدوح) إلى الجلوس على المقعد المواجه له ، وهو يقول :

ـــ لقد فهمت أنك تبغى التعاون معنا ؛ للتوصُّل إلى الزعيم الخفىّ لتجارة الهيروين ، فى (سيدوراس) ، ومخازنه

السرّية ، التى يموّل من خلالها التجار والمهرّبين .. أليس كذلك ؟

ممدوح :

ـــ بلى .. تلك مهمتى بالتحديد .

رئيس المكافحة :

ـــ لست أحب أن أُثبط من عزيمتك ، ولكننى أحذّرك بأنها مهمة غاية فى الصعوبة .. فقد فشلنا جميعًا ، وفشلت معنا أجهزة أمنية من دول عدة ، فى تحقيق هذه الأهداف .. فذلك الزعيم الخفىّ ، الذى تبحث عنه ، والذى يطلقون عليه اسم (الأخطبوط) ؛ نظرًا لأن أذرعه تمتدُّ إلى مناطق عديدة داخل (سيدوراس) وخارجها ، استطاع ببراعة ودهاء لا نظير لهما ، ولم أشهد مثلهما طيلة عمرى وعملى ، أن يظلّ خفيًّا مجهولًا ، بعيدًا عن متناول أيدينا ، بل إن القليلين جدًّا ممن يعملون معه يعرفون حقيقة شخصيته ، وحتى أولئك يتمّ التخلُّص منهم فى توقيت محدود ، قبل أن يتحوَّلوا إلى مصدر خطر عليه .. وهو يسيطر على تنظيم إجرامىّ بالغ الدّقة ، له قواعد تحكمه ، وتنظِّم نشاطه داخل وخارج البلاد ، فى حين لا نُوقع نحن إلا بصغار المروِّجين والمهربين ، وبعض العصابات

الأخرى ، الأقل شأنًا فى هذا المجال ، وهؤلاء لا يقودُونك إلى أدنى أثر ، يفيد فى إلقاء القبض على (الأخطبوط) .

أدهشت تلك اللهجة اليائسة ، التى يتحدَّث بها رئيس إدارة مكافحة المخدرات فى (سيدوراس) ، (ممدوح) ، فبادره قائلًا فى لهجة متفائلة :

ـــ أعتقد أن (الأخطبوط) لن يظلّ خفيًّا ، ما دمت قد وصلت إلى هنا ؛ فلقد عقدت العزم على بتر أذرعه ، وتحطيم رأسه أيضًا .

ارتسمت ابتسامة استخفاف على شفتى رئيس مكافحة المخدرات ، وهو يستمع إلى كلمات (ممدوح) ، فلقد كان الرجل يحمل فى حياته تجارب عديدة سابقة ، مُنيت جميعها بالفشـــل الذريـع ، حتى بـدا له كشـف القنـاع عن (الأخطبوط) ، وإلقاء القبض عليه ، فى حكم المستحيل ، ثم إنه لم يعرف من قبل رجلًا من طراز (ممدوح عبد الوهاب) ، حتى أن أقصى ما تصوَّره ـــ فى تلك اللحظة ـــ هو أنه يجلس أمام ضابط مصرى مغرور ، تقلّ قدراته كثيرًا عن ذلك التحدِّى الذى يلُوح فى ملامحه ، ولقد ظلّت ابتسامة الاستخفاف تملأ وجه رئيس إدارة المكافحة وهو يقول :

ـــ لو نجحت فى ذلك حقًّا ، لأقمنا لك تمثالًا فى هذه البلاد .

ممدوح :

ـــ لو فعلت ، فسيعنى هذا أننى قد أدّيت واجبى ، وأداء الواجب لا يستحق إقامة التماثيل .

تطلّع إليه رئيس الإدارة فى حَيْرة ، وحملت لهجته الكثير من الجدّية والاحترام ، وهو يقول :

ـــ على أيّة حال ، إننى أتمنّى أن تنجح فى مهمتك ، فهذا أملنا جميعًا وسوف يشاركك مهمتك واحد من أكفإ ضباط إدارتنا ، ألا وهو الضابط (برناردو) .

ثم ضغط زرّ جهاز الاتصال الموضوع فوق مكتبه ، وهو يقول :

ـــ استدعِ الضابط (برناردو) إلى مكتبى على الفور .

لم تمض إلّا لحظات ، حتى دخل إلى الحجرة شاب متين البُنْيان ، متوسط الطول ، أسود الشعر ، قصيره ، له عينان زرقاوان ووجه وسيم ، ولقد شدّ قامته فى احترام ، وهو يقف أمام رئيسه وقفة عسكرية ، قائلًا :

ـــ الضابط (برناردو) فى خدمتك يا سيّدى .

أشار رئيسه إلى (ممدوح) ، قائلًا :

ـــ أقدّم لك المقدّم (ممدوح عبد الوهاب) يا (برناردو) .. لقد قَدِمَ من (مصر) ؛ لمعاونتنا على القضاء على (الأخطبوط) وأعوانه ، وأريد منك أن تقدّم له كل مساعدة ومعاونة ممكنة فى هذا الشأن ، وتمنحه كافة التسهيلات التى يحتاج إليها .

ارتسمت الدهشة على وجه (برناردو) ، وهو يصافح (ممدوح) ، ثم التفت إلى رئيسه ، قائلًا فى دهشة :

ـــ هل قلت سيادتك إنه هنا ؛ للقضاء على (الأخطبوط) ؟

حَدَجَه رئيسه بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـــ نعم .. ألم تسمعنى جيّدًا أيها الضابط ؟

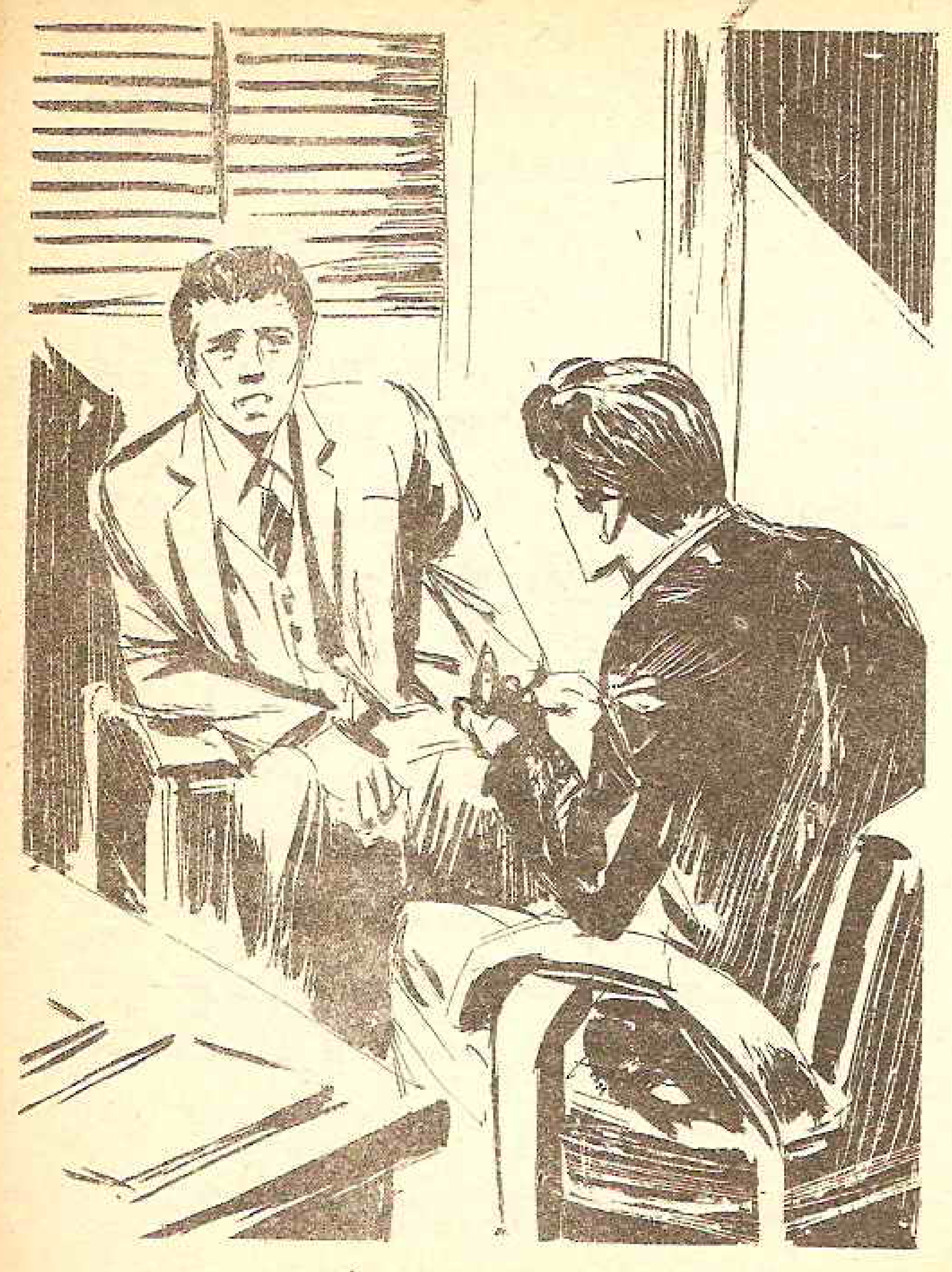
كانت هذه النظرة كافية ؛ ليحجم (برناردو) عن إلقاء سيل الأسئلة ، الذى يتصارع فى رأسه ، فاكتفى بالقول :

ـــ بَلَى يا سيّدى .. لقد سمعت .

ثم التفت إلى (ممدوح) ، قائلًا :

ـــ تفضّل يا سيادة المقدّم .

صحبه (ممدوح) إلى مكتبه ، وهو يختلس النظر إلى ملامح



ولم يكد مكتب هذا الأخير يجمعهما ، حتى سأله (ممدوح) :
ــ هل تسمح لى بسؤالك عن سرّ تلك الدهشة ، التى تملأ وجهك ..

الدهشة ، التى لم تفارق وجه (برناردو) بعد .. ولم يكد مكتب هذا الأخير يجمعهما ، حتى سأله (ممدوح) :

ــ هل تسمح لى بسؤالك عن سرّ تلك الدهشة ، التى تملأ وجهك ، منذ عرفت أننى قد جئت للقضاء على (الأخطبوط) ؟

تأمّله (برناردو) لحظة ، قبل أن يقول :

ــ الكل هنا أصبح يوقن من أن ما تنشده هو فى حكم المستحيل ، فالمسئولون عن هذه الإدارة ، بل مسئولو وزارة الداخلية نفسها ، أصبحوا على قناعة تامة من أن هذا (الأخطبوط) شخصية خارقة ، أشبه بوحوش الأساطير ، يستحيل كشفها أو قهرها ، حتى أن أحدًا لم يعُد يطرح أيّة فكرة جديدة بهذا الشأن ، فى أى اجتماعات بين ضباط الإدارة ، ولم نعُد نسعى سوى للقبض على صغار المروّجين والمهربين فحسب .

تفرّس (ممدوح) فى وجهه ، قائلًا :

ــ وهل تؤمن أنت أيضًا بذلك ؟

أجابه (برناردو) فى تحدٍّ :

ــ بل أعتقد أنهم يمنحون ذلك الوغد أكثر مما يستحق ، وأنه

من الممكن الإيقاع به ، وتحطيم تنظيمه الذى يسيطر على تجارة المخدرات فى (سيدوراس) ، والعالم أجمع .. ولكن الجميع هنا يسخرون من رأيى هذا ، ومن أيّة اقتراحات أو خُطط أتقدّم بها ؛ لتحريك هذا الموقف الساكن .. وكانوا يعتبرون موقفى مجرّد حماس زائد ، وأحلام خيالية لضابط شاب ؛ لذا تجدنى مندهشًا من إعادة طرح الفكرة على مائدة البحث .. ومن العجيب أن يعهدوا إلىّ أنا بالذات بمعاونتك ؛ بعد أن كانت أفكارى تثير سخريتهم ، بل دون وضع خُططٍ معقّدة ، من قِبلَ الجهات العليا ، أو رئيس الإدارة على الأقل .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ــ ربّما لأنهم لا ينظرون إلى الأمر بالجدّية اللازمة ، كما تقول ، فأنا هنا بناءً على طلب رسمىّ من وزارة الداخلية المصرية ، بعد عقد اتفاقية للتعاون الأمنىّ بين دولتينا ، وأظن أن المسئولين هنا يريدون إثبات استعدادهم للتعاون فحسب .. ولكن قل لى : ما هى خُطَطك واقتراحاتك فى هذا الشأن ؟

برنادرو :

ــ كنت أريد استصدار أمر بتفتيش منازل بعض الأثرياء

والمسئولين فى الدولة ، فى حملة منظمة ، تأتى فى توقيت واحد محدود .. فأنا على قناعة تامة من أن أذرع (الأخطبوط) تتمثل فى بعض ذوى الشأن فى هذه البلاد ، وليس فى المروّجين أو المهرّبين ، الذى نلقى القبض عليهم ، ثم ينتهى بهم الأمر إلى الفرار ، أو الموت غير المفهوم ، أو إلى حكم البراءة ، بعد رشوة القضاة ، واستغلال نفوذ البعض .. ولكن طلبى هذا قوبل برفض تام ، ولم يسمح سوى بالحملات الصغيرة التقليدية .

ممدوح :

ــ هل لديك قائمة محدودة ، بأسماء من تشتبه فيهم .

برنارد و :

ــ نعم .. وعلى رأسهم (دون سلفادور) ، صاحب أكبر شركات تصنيع منتجات الألبان فى (سيدوراس) ، وأحد كبار الأثرياء هنا .. فلديه منزل ريفى محاط بحراسة مشدَّدة ، ويحوى عدة أقبية ، أظن أنه يستخدمها لتخزين الهيروين .

ممدوح :

ــ استعد إذن ، فسأشاركك فى اقتحام منزل (دون سلفادور) الريفى .

برناردو :

ـــ ولكن هذا يستلزم موافقة رئيس الإدارة ، والحصول على تصريح من الـ ....

قاطعه (ممدوح) فى حزم :

ـــ إننى أحُوز سلطات مباشرة فى هذا الشأن ، أعِدّ حملتك ، ودَع الباقى لى .

تهلّلت أسارير (برناردو) ، وهو يقول :

ـــ هذا يسعدنى يا سيادة المقدّم ، سأعدّ حملتى ، ونضرب ضربتنا .. الليلة .

* * *



٣ ـــ حكم بالإعدام ..

بإشارة صغيرة من (برناردو) ، اختفى عشرة رجال مسلحون ، من إدارة مكافحة المخدرات ، خلف الأشجار ، وبين الأعشاب المحيطة بالمنزل الريفى ، والتفت هو إلى (ممدوح) ، يسأله :

ـــ هل ستأتى معى ؟

ممدوح :

ـــ كلّا .. سأتصرّف بوسائلى الخاصة .

قال (برناردو) ، وهو يراجع تنكُّره فى سرعة :

ـــ حسنًا ، ولكن كن على حذر .

ثم اصطحب أحد المرشدين ، الذين كانوا يعملون فى ترويج المخدرات سابقًا ، وتقدّما نحو البوّابة الحديدية المحيطة بالمنزل ، حيث اعترضهما شخص ضخم ، كبير الأذنين ، قائلًا فى خشونة :

ـــ ماذا تريدان ؟

أجابه المرشد ، وهو يشير إلى (برناردو) ، قائلًا :

— لدينا موعد للقاء (دون سلفادور) ، بخصوص ذلك التاجر المكسيكى .

تمعَّن الضخم فى وجه (برناردو) بوجه عابس صارم ، قبل أن يشير إلى البوابة ، قائلًا :

— إنه ينتظركما .

ثم هتف بأعلى صوته :

— ريڤيليو .

وعلى الفور برز رجل آخر ، من داخل كوخ خشبىّ قريب ، وهو يحمل مدفعًا آليًّا ، فاستطرد الضخم فى خشونة :

— رافقهما إلى الشُّرفة ؛ فـ (دون سلفادور) ينتظرهما هناك .

قادهما الرجل نحو المنزل المكوَّن من طابقين ، عَبْر حديقة تزخر بالأشجار والأعشاب البرِّية ، أمَّا (ممدوح) فقد تسلَّل إلى شجرة عالية ، كثيفة الأغصان ، خارج أسوار المنزل ، فتسلَّقها فى خفَّة . ثم قفز منها عَبْر السُّور ، إلى شجرة أخرى قريبة ، داخل حديقة المنزل ، ثم ربض فوق أغصانها كالفهد ، وهو يتطلَّع إلى رجل يحمل مدفعًا آليًّا أسفلها ، وأطلق من بين شفتيه صفيرًا خافتًا ، أثار انتباه الرجل ، فرفع عينيه إلى أعلى ،

وتراجع فى دهشة ، حينما وقع بصره على (ممدوح) ، الذى يبتسم فى هدوء ..

وتراجع الرجل فى سرعة ، ورفع فوَّهة مدفعه الآلىّ نحو (ممدوح) و ....

وضغط الزِّناد ..

* * *

حينما يضغط محترف زِناد مدفعه الرشاش ، فهو يحتاج عادةً إلى عشر الثانية ؛ ليطلق النار على هدفه ، ويصيبه إصابة مُحْكَمَة ..

وفى حالتنا هذه ، لم يجد الرجل الوقت الكافى ليفعل ..

فقبل أن تصل ضغطته على الزِّناد إلى الحدِّ الكافى ؛ لانطلاق الرصاصة ، انقضَّ عليه (ممدوح) ، وطرحه أرضًا ، وسدَّد له عدَّة لكمات سريعة متلاحقة ، أفقدته الوعى ، ثم قيَّده فى سرعة وإتقان ، ووضع على فمه شريطًا لاصقًا ؛ يمنعه من الحركة والاستغاثة ، ثم تابع زحفه بين الشجيرات الصغيرة ، متجهًا نحو المنزل الريفى ، الذى دخله (برناردو) ورفيقه منذ لحظات ، وانطلق فى سرعة من وراء ظهر الحارس المسلح ، الذى وقف يحرس المنزل ، واختفى خلف النباتات

المتسلِّقة ، التى تتدلَّى إلى جوار جدار الشُرفة ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها إليها (برناردو) ورفيقه ، حيث يجلس (دون سلفادور) ، بصحبة إحدى الحسناوات ..

وفور دخولهما أومأ (دون سلفادور) إلى الحسناء ، فانصرفت على الفور ، على حين ارتسمت على شفتيه ابتسامة صفراء ، وهو يشير إلى (برناردو) ورفيقه بالجلوس ، قائلًا للأخير :

ـــ مرحبًا يا (چانتى) .. إننا لم نرك منذ فترة طويلة .

أجابه (چانتى) فى ارتباك ، وهو يدير قبعته بين يديه :

ـــ لقد كنت مطاردًا من الشُرطة ـــ كما تعرف ـــ يا سنيور (سلفادور) .. ولقد اضطررت للاختباء بعض الوقت ، حتى يغمضوا أعينهم عنِّى .

تحوَّلت نظرات (سلفادور) إلى (برناردو) ، وكأنه ينتظر منه أن يقول شيئًا ، ولكن (چانتى) استطرد :

ـــ أُقدِّم لك السنيور (بابلو) ، التاجر المكسيكى الذى حدَّثتك عنه هاتفيًا .. إنه يرغب فى شراء مائة كيلوجرام من الهيروين .

اتسعت ابتسامة (سلفادور) الساخرة ، وهو يتطلَّع إلى (برناردو) ، قائلًا :

ـــ وهل يمكنه دفع ثمن كل هذه الكمية ؟

چانتى :

ـــ إنه سيدفع بالطبع ، ولكنه يرغب فى فحص عيِّنة من البضائع أوَّلًا .

مدَّ (سلفادور) يده إلى صندوق خشبىّ صغير ، فوق المائدة المجاورة له ، وتناول منه كيسًا صغيرًا من البلاستيك يمتلئ بمسحوق أبيض ، وألقى به إلى (برناردو) قائلًا :

ـــ حسنًا .. ها هى ذى العيِّنة ..

التقط (برناردو) الكيس فى هدوء ، وحلَّ رباطه ، وتناول منه قليلًا من المادة البيضاء ، وتذوَّقها فى اهتمام ، ثم التفت إلى (چانتى) ، قائلًا فى غضب :

ـــ قل لهذا الرجل إننى أكره أن يسخر منِّى أحد .

بدا القلق والاضطراب على وجه (چانتى) ، على حين قال (سلفادور) ، دون أن تفارق ابتسامته شفتيه :

ـــ ومن قال إننى أسخر منك يا عزيزى (بابلو) ؟

ألقى إليه (برناردو) بالكيس ، وهو يقول فى حدَّة :

ـــ مامعنى أن تقدِّم لى مسحوق السكر على أنه هيروين إذن ؟

هبَّ (سلفادور) واقفًا ، واختفت ابتسامته الساخرة ، ليحلَّ محلها انطباع قاسٍ ، وهو يقول :

ـــ معناه أن حيلتك الساذجة هذه لم تنطل علىَّ ، على الرغم من استخدامك لذلك الغبىّ (چانتى) ، وأننى أعرف حقيقة شخصيتك ، على الرغم من تنكُّرك ، أيها الضابط (برناردو) .

عقدت المفاجآت لسان (برناردو) ، على حين ازدرد (چانتى) لُعابه الجاف فى رُعب ، وهو يتراجع فى فزع .. وأدرك (برناردو) أنه من الحماقة أن يفكِّر فى استخدام مسدَّسه ، مع وجود أربعة رجال مدجَّجين بالسِّلاح ، يقفون فى تحفُّز على أعتاب الشُّرْفة ، ويسعدهم أن يمطروه مع (چانتى) بالرصاصات ، فبقى ساكنًا ، على حين استطرد (سلفادور) فى صرامة :

ـــ من الغباء أن تعتمد على صعاليك مثل (جانتى) ، لمساعدتك فى الإيقاع بـ (دون سلفادور) أيها الضابط .. فـ (چانتى) لا يساوى مثقال خردلة ، إزاء عملاء لى بين صفوفكم ، يمدُّوننى بكل ما أحتاج إليه من أسراركم ..

ولقد حاولت التفاهم معك من قبل ، عن طريق وسطائى ، وكان يمكنك أن تنعم بحياة مُترفة ، وتحصل على ما يتجاوز أضعاف أضعاف راتبك شهريًا ، بالإضافة إلى عشرات المميِّزات الأخرى ، لو أنك وافقت على العروض ، التى قدَّمتها إليك ، ولكنك رفضت كل ذلك بمثالية حمقاء ساذجة ، وأبيت إلَّا أن تواصل إلقاء القبض على رجالى ، والزَّجّ بهم خلف القضبان ، دون أن تجنى من وراء ذلك أيَّة قيمة .. كان ينبغى أن تدرك عقم بطولاتك ؛ فأنت تقف أمام قوة عاتية ، لا قِبَلَ لك ولا لجهاز شرطتك كله بمواجهتها .. إننى أعلم أنك هنا بطريق غير رسمى ، محاولًا إحراز نصر خاص ، وهذا هو ما كنت أنتظره ، للتخلُّص منك نهائيًا وبوسائلى الخاصَّة .

ثم التفت إلى رجاله ، آمرًا فى صرامة :

ـــ لقد صدر الحكم بإعدام هذا الرجل ، وعليكم تنفيذه ، وتطبيقه على الخائن الذى يصحبه أيضًا .

قال هذا ، وهو يبتعد بخطوات بطيئة ، على حين رفع رجاله فوَّهات مدافعهم الآلية نحو (برناردو) و (چانتى) ..

وبدأ تنفيذ حكم الإعدام ..

* * *

٤ ـ قاتل محترف ..

انقلبت الأمور فجأة ، رأسًا على عَقِب ، حينما برز (ممدوح) من خلف النباتات المتسلّقة ، وألقى قنبلة دُخانية وسط الرجال ، صائحًا بـ (برناردو) و (چانتى) :

ـ انبطحا أرضًا .

وتصاعدت سحابة من الدُخان بين الطرفين ، واخترقتها رصاصات رجال (دون سلفادور) ، بحثًا عن الضحايا ، على حين أخرج (برناردو) من جيبه صفّارة خاصة ، أطلق بواسطتها صفيرًا قويًا ، بدأ على إثره رجاله فى الاشتباك مع عصابة (دون سلفادور) ، وحصد (ممدوح) برصاصات مسدسه اثنين من رجال (دون سلفادور) ، نجحا فى اختراق سحابة الدُخان ، وأصاب (برناردو) الثالث فى ساقه ، والرابع فى كتفه ، ولكن الأخير نجح ـ على الرغم من إصابته ـ فى إصابة (برناردو) فى كتفه أيضًا ، وقتل (چانتى) ، قبل أن يرديه (ممدوح) قتيلًا برصاصاته ..

وقفز (ممدوح) داخل الشُّرفة ، واندفع مع (برناردو) داخل المنزل الريفى ، فى محاولة للّحاق بـ (سلفادور) ، ولكنهما واجها مقاومة عنيفة من ثلاثة من رجاله ، يطلقون مدافعهم الآليّة فى شراسة وإصرار ، فتبادل الطرفان إطلاق النار ، حتى نفدت ذخيرة (ممدوح) ، وعجز (برناردو) عن مواصلة القتال ، بعد أن تزايدت آلام إصابة كتفه ..

وأدرك رجال (سلفادور) عجز خصميهما ، فتحرَّك أحدهما نحو الجدار ، الذى يختفى خلفه (ممدوح) و (برناردو) ، وقد قرَّر أن ينفِّذ الحكم وحده ..

حكم الإعدام ..

* * *

كانت كل الدلائل تؤكِّد أن نهاية بطلينا قد أصبحت حتمية ، لولا أن قفز (ممدوح) فجأة من خلف الجدار ، غير عابئ بما ينهال عليه من رصاصات ، وينقضُّ كالصقر على الرجل ، ويركله بكلتا قدميه فى صدره ، فيدفعه نحو الحائط ، فى صدمة عنيفة ، أفقدت الرجل وعيه ، وألقته أرضًا ..

وفى سرعة ومهارة ، وجسارة ، التقط (ممدوح) مدفع الرجل ، وفتح نيرانه على الرجلين الآخرين ، فأرْدَى أحدهما



وينقضُّ كالصقر على الرجل ، ويركله بكلتا قدميه فى صدره ،
فيدفعه نحو الحائط ، فى صدمة عنيفة ..

قتيلًا ، على حين استعاد الأوَّل وعيه فى سرعة ، وانقضَّ على (ممدوح) من الخلف ، وأحاط عنقه بذراعه ، على حين وجدها الثالث فرصة سانحة ، ليردِى (ممدوح) قتيلًا بدوره ، فصوَّب فوَّهة مدفعه إليه ، ولكن (ممدوح) دفع مؤخرة مدفعه فى جبهة خصمه ، الذى يحيط عنقه بذراعه ، فحطَّم جمجمته ، وألقى به بعيدًا ، ثم استدار يواجه الثالث فى حزم ..

وقبل أن يطلق (ممدوح) رصاصاته نحو خصمه ، أو يطلق هذا الخصم رصاصاتـــه نحو (ممدوح) ، دوَّى صوت رصاصات عنيفة ، اخترقت جسد الرجل ، الذى انتفض فى قوة ، وسقط جثة هامدة ، مع اقتحام رجال مكافحة المخدرات المنزل الريفى ، بعد نجاحهم فى التغلُّب على رجـــال (سلفادور) ..

وأسرع الرجال يعاونون (برناردو) ، الذى فقد الكثير من دمائه على حين اندفع (ممدوح) داخل المنزل ؛ بحثًا عن (سلفادور) ، ولكن دون جدوى ..

لقد اختفى (سلفادور) ..

اختفى تمامًا .

* * *

كان الدُخَانِ ينبعث من السيجار ، الذى يدخِّنه ذلك الشخص ، الجالس فوق مقعد جلدىّ سميك ، داخل حجرة خافتة الإضاءة ، يرقُب فى هدوء حوضًا ضخمًا ، تسبح داخله عشرات الأسماك الملوَّنة ، حينما دخل إلى الحجرة رجل طويل نحيل ، وقف خلف المقعد ، قائلًا :

ـــ (چوزيه لاراز) سيذهب إلى المحاكمة غدًا ، وهو يهدِّد بكشف الكثير من أسرارنا ، لو تخلَّيْنا عنه .

غمغم الجالس فى هدوء :

ـــ إذن فهو يهدِّدنا ؟!

أجابه الطويل فى توتُّر :

ـــ إنه يهدِّدنى أنا ، فهو لا يعرف أنك (الأخطبوط) ، ويظن أننى زعيم المنظمة .

أسقط (الأخطبوط) رماد سيجاره فى المنفضة ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ تهديدك يعنى تهديدى شخصيًّا ، فأنت الرجل الثانى فى المنظمة ، وأقوى ذراع للأخطبوط .. لقد أعددت خُطَّة لمعاونة (لاراز) على الفرار ، قبل تقديمه إلى المحاكمة ، ولكن تهديده هذا يجعلنى أعدِّل خُطَطى بشأنه ، فأنا أكره أن يهدِّدنى أحد .

ثم نهض من مقعده ، وتقدَّم نحو حوض الأسماك ، والتقط من داخله سمكة صغيرة ، وأخفى الضوء الخافت تلك السخرية ، التى ارتسمت على ملامحه ، ولكنه لم يخفها من صوته ، وهو يستطرد :

ـــ حينما يحيط (الأخطبوط) سمكة صغيرة بذراعه ، فمن الأجدى أن تطلب منه العفو والرحمة ، لا أن تهدِّده وتتوعَّده ، حتى لا يفعل معها هذا .

وفى هدوء .. اعتصر السمكة الصغيرة فى قبضته ، وألقاها أرضًا ، وهو يستطرد فى لهجة صارمة آمرة :

ـــ فليقتل (لاراز) غدًا .. وقبل أن يطأ بقدمه ساحة المحكمة .

* * *

قاد عامل الفندق ذلك النزيل المتغطرس ، ذا الأنف المدبَّب ، إلى حجرته ، وهو يحمل حقائبه ، وفتح له باب حجرته ، وهو يقول فى احترام :

ـــ ستروق لك الإقامة فى فندقنا كثيرًا أيها السيِّد المحترم ، فحجرتك تطلُّ على الميدان العام ، حيث يمكنك أن تمتِّع عينيك برؤية نافورة (الكاليزا) التاريخية ، والحديقة المحيطة بها .

همَّ الفتى بفتح النافذة ؛ ليؤكِّد صدق روايته ، ولكن النزيل استوقفه بصوت أجشّ جافّ :

ــ دَعِ النافذة ، وانصرف .

انصاع الفتى للأمر ، وقد أزعجته لهجة النزيل ، مغمغمًا :

ــ كما تحبُّ يا سيِّدى .

ألقى النزيل فى يده عملة معدنية ، وهو يقول فى صرامة :

ــ لا أريد أن يزعجنى أحد .. هل تفهم ؟

غمغم الفتى ، وهو يسرع لمغادرة الحجرة :

ــ بالتأكيد يا سيِّدى .. بالتأكيد .

وأسرع يغلق الباب خلفه ، وينصرف فى انزعاج ، على حين انتظر الرجل قليلًا ، وهو ينصت فى اهتمام إلى وقع أقدام الفتى ؛ ليتأكَّد من ابتعاده ، ثم أغلق الباب بالمزلاج ، واتجه نحو النافذة ، وألقى نظرة من خلال فُرجات الشيش على الميدان ، ثم استقرَّت نظراته على مبنى آخر ، يبتعد أمتارًا عن الحديقة والنافورة ، ويحمل لافتة ضخمة ، تحمل اسم (محكمة العدل) ..

ووقف الرجل يتطلَّع إلى المبنى لحظات ، ثم اتجه نحو فراشه ،

وخلع حذاءه فقط ، ثم استلقى فوق الفراش ، وراح فى نوم عميق ، حتى الصباح التالى ، حيث استيقظ فى نشاط ، وغسل وجهه فى عناية ، ثم التقط حقيبته ، وأخرج منها عدةَ أجزاء معدنية ، راحَ يوصلها بعضها ببعض فى هدوء وإحكام ، حتى اتخذت فى النهاية شكل بندقية حديثة ، ذات منظار مقرِّب ، ثبَّته فوق ماسورتها ، ثم ثبتها بدورها فوق حامل مواجه للنافذة ، وظلَّ فى موضعه هادئًا ، يراقب الطريق من فُرجات الشيِّش ، حتى وصل إلى مسامعه صوت درَّاجات بخارية ، لم تلبث أن بدت واضحة أمام عينيه ، وهى تتوقَّف أمام مبنى المحكمة ، وخلفها سيارة السجن .. وهنا دفع الرجل ماسورة مسدَّسه عَبْر فُرجة الشيِّش ، وألصق عينيه بعدسة المنظار المقرِّب ، وألصق سبَّابته بالزِّناد حتى رأى (جوزيه لاراز) ، وهو يهبط من سيارة السجن ، مُصفَّدًا بالأغلال ، وحوله رجال الشرطة ، فحرَّك ماسورة بندقيته فى هدوء ، حتى أصبح رأس (لاراز) يتوسَّط الخطَّين المتقاطعين فى منظاره المقرِّب ، ثم أطلق النار .

* * *

ارتفع رنين الهاتف فى تلك الحجرة الخافتة الإضاءة ، فامتدت يد الرجل الذى ينفث دُخان سيجاره ، ويرقُب

الأسماك السابحة فى حوضها ، فى هدوء ، والتقط سمَّاعة الهاتف ، ووضعها على أذنه ، فسمع صوتًا يقول :

ـــ تمَّ قتل (لاراز) .

نفث الرجل دُخان سيجاره فى هدوء ، وقال :

ـــ لا تنسَ إرسال باقة من الزهور إلى قبره .

ثم وضع السمَّاعة ، دون أن ينتظر جوابًا ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة عجيبة ..

ابتسامة أخطبوط ..

★ ★ ★



٥ ـــ حانة الأشرار ..

أعاد (برناردو) سمَّاعة الهاتف إلى موضعها فى عصبيَّة ، وهو يقول فى حَنَق :

ـــ لقد فعلها (الأخطبوط) مرَّة أخرى .

سأله (ممدوح) مستوضحًا :

ـــ ماذا حدث ؟

برناردو :

ـــ لقد قُتِلَ (لاراز) أمام ساحة المحكمة ، وتخلَّص منه (الأخطبوط) ، قبل أن يبُوح بأسراره .

وجلس خلف مكتبه ، والضِّيق يملأ وجهه ، مستطردًا فى سخط :

ـــ لقد كنا نعتمد كثيرًا على ما سيقوله فى أثناء المحاكمة .. فقد ظلَّ يرفض البَوْح بأى شىء ، على أمل أن يعاونه (الأخطبوط) على الفرار ، قبل مثوله أمام القضاء .. وكنت أعلم أنه ـــ إذا ما أفتقد ذلك ـــ فسيحاول إلقاء المسئولية عن

كاهله بكشف الأسرار ، لذا فقد تابعت إجراءات حراسته بنفسى ، واتخذت كل مايلزم لمنع فراره ، ولكن (الأخطبوط) فضَّل قتله ، بدلًا من معاونته على الهرب ؛ ليحبط كل خُططى ، ويضيف إلينا فشلًا جديدًا ، بعد فشلنا فى إلقاء القبض على (دون سلفادور) ، أقرب أعوانه ، وليجعلنا ندور فى حلقة مفرغة .

ممدوح :

— لقد أصبحت خصمًا معروفًا لعصابات الهيروين ، فى تلك المدينة الصغيرة ياعزيزى (برناردو) ، وهم يتحيَّنون الفرصة للفتك بك ، وهذا يتعارض مع أساليب العمل السرِّىّ ، بالنسبة لك .. وحتى العمل العلنى المباشر ، كشن الحملات والغارات على أوكار المروِّجين والمهربين ، خاصة مع وجود عملاء للمنظمة داخل جهاز الشُّرطة نفسه ، وبين المسئولين ، وماقاله (سلفادور) خير دليل على ذلك .

برناردو :

— وهل تريدنى أن أظلَّ ساكنًا ، وأتركهم يمرحون فى البلاد طولًا وعرضًا ؟

ممدوح :

— كلَّا .. ولكننى أريد منك أن تتركنى أعمل منفردًا منذ هذه اللحظة .. فأنا — على عكسك — مازلت مجهولًا بالنسبة لهم ، ولست مقيَّدًا بالأوامر الرسمية ، ويمكنك أن تكتفى بمراقبة عملى ، بواسطة أحد ممن تثق بهم من رجالك .. فقد أنجح بوسائلى الخاصة فى التسلُّل إلى صفوفهم ، والغوص فى أعماقهم ، بحثًا عن زعيمهم (الأخطبوط) ، الذى يهيمن على الجميع .

برناردو :

— قد يمثِّل ذلك خطورة شديدة بالنسبة لك ، خاصةً وأنك غريب عن هذه البلاد .. فهؤلاء الأوغاد لا يتورَّعون عن القتل ، لمجرَّد الشك ، وأذرع (الأخطبوط) تفتك دَوْمًا بكل من يمسّ مياهه العميقة .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

— لا تنس أننى لست هنا لقضاء إجازة سياحية ، كما أننى كنت هدفًا لكثير من القتلة والمجرمين ، طوال عملى فى إدارة العمليات الخاصة ، ولن يكون (الأخطبوط) أُوَّل من يحلُم بذلك ، ولكننى أعدك أن أحطِّم أحلامه ، وأحوِّلها إلى كوابيس ، كما فعلت مع غيره من قبل .

برناردو :

ـــ وما المساعدة التى تريدها منّى فى هذا الشأن ؟

ممدوح :

ـــ أن تخبرنى عن أكثر الأماكـــن ، التـــى تحوم حولها الشبهات ، بالنسبـــة لمروّجـــى ومهـــرّبى المخدرات فى (سيدوراس) .

صمت (برناردو) لحظة مفكّرًا ، ثم قال :

ـــ هناك حانة اللؤلؤ ، فى شارع (كرياس) .. إنها مقرٌّ دائم للمدمنين ، وصغار المروّجين ، وعلى الرغم من حملاتنا المستمرة عليها ، فنحن لم ننجح فى إدانتها بعد .

ممدوح :

ـــ سأذهب إليها الليلة إذن .

برناردو :

ـــ لن تظفر بشىء هناك ، فهم لا يثقون فى الغرباء ، ولقد فشل أفضل مخبرىّ ومرشِدِىّ من قبل .

ممدوح :

ـــ دَعْنى أجرّب حظِّى هناك .

وانصرف ، بعد أن حصل على عنوان الحانة ، على حين

وقف (برناردو) يتابعه ببصره ، من خلف نافذة مكتبه ، وهو يغمغم فى قلق :

ـــ لا أستطيع منع نفسى من الإعجاب بذلك الرجل الشجاع ، كما أننى أدين له بإنقاذ حياتى ، ولكنه يبالغ كثيرًا فى ثقته بنفسه ، ولست أدرى لماذا أشعر بأننا لن نلتقى بعد ذلك .. لن نلتقى على قيد الحياة ..

* * *

كانت حانة اللؤلؤ مكانًا لا يوحى بأى قدر من المرح ، بعكس اللافتة المعلّقة خارجها ، فهى من الداخل ضيقة ، متلاصقة الموائد ، تفُوح منها روائح الدُّخان ، المختلط بأنفاس السُّكارى ، وابتساماتهم العابثة السخيفة ..

وجلس (ممدوح) فوق مقعد عالٍ ، أمام منضدة البار ، حيث اقترب منه الساقى بوجهه ذى العظام البارزة ، وملامحه الضجرة المتجهّمة ، وهو يقول :

ـــ ماذا تريد ؟

أجابه (ممدوح) فى صوت هادئ :

ـــ بضعة مليجرامات من الهيروين .

ازداد تهجُّم السّاقى ، وهو يقول فى خشونة :

— يبدو أنك قد أخطأت المكان يا صاح ، فهنا نقدِّم المشروبات ، لا المخدرات .

أخرج (ممدوح) من جيبه عملة ورقية ضخمة ، راح يقلِّبها بين أصابعه ، وهو يقول للرجل :

— ولكنك تستطيع إرشادى إلى من يقدِّمها لى .. أليس كذلك ؟

تناول السَّاق الورقة المالية ، من بين أصابع (ممدوح) ، ودسَّها فى جيبه ، وهو يشير فى لا مبالاة إشارة مبهمة ، فتقدَّم شخص يناهز المترين من (ممدوح) ، له شارب كثٌّ يتدلَّى فوق شفتيه ، وتطلَّع إلى السَّاق ، الذى قال وهو يومئ إلى (ممدوح) :

— ذلك الرجل يرغب فى بعض المسحوق .

حَدَجَ الضخم (ممدوح) بنظرة تشفُّ عن القسوة البالغة ، ثم غمغم فى غلظة :

— اتبعنى .

تبعه (ممدوح) إلى حجرة صغيرة خلف البار ، وهبط خلفه سُلَّمًا من المعدن ، انتهى إلى باب فولاذى ، دسَّ الرجل فيه مفتاحه ، ثم أشار لـ (ممدوح) أن يتبعه ، وأضاء المكان ، فوجد (ممدوح) نفسه داخل مخزن صغير للخمور ، تراصَّت

الزجاجات على جانبيه ، وأغلق الضخم الباب الفولاذى فى إحكام ، ثم صفَق بكفَّيه ، فبرز من خلف الزجاجات رجل قبيح ، حليق الرأس ، قصير ، تنتهى ذراعه اليمنى بخطاف معدنى ، يحلُّ محلَّ كفِّه المبتورة ، واقترب من (ممدوح) فى حذر ، على حين قال الضخم فى لهجة ساخرة :

— هذا الرجل يبحث عن الهيروين .

قال (ممدوح) ، وهو ينقِّل بصره بين الرجلين فى توتُّر وحَذَر :

— ومستعد لدفع ثمنه .

وفجأة .. انقضَّ عليه العملاق ، ولوَى ذراعيه خلف ظهره ، وهو يقول فى خشونة :

— ربَّما كان الثمن هو حياتك .

وقفز الدميم ؛ ليضع طرف خطَّافه الحادّ على عنق (ممدوح) ، قائلًا فى قسوة :

— هل يبدو لك وجهى قبيحًا أيها الوسيم ؟.. إذا أردت ألَّا أحوِّل وجهك إلى ما هو أكثر قبحًا ، فأخبرنا عن السبب الحقيقى لحضورك إلى هنا .

وفى قسوة وخشونة ، بدأ يغرز طرف خطَّافه فى عنق (ممدوح) ..

* * *



وقفز الدميم ؛ ليضع طرف خطَّافه الحادّ على عنق (ممدوح) ..

٦ ــ الصراع العنيف ..

تصبَّب العرق على وجه (ممدوح) ، وهو يقول فى حدَّة :

ــ هل تعتقد أننى أستطيع التحدُّث ، وأنت تغرس مخلبك فى عنقى ؟

أطلق الدميم ضحكة قصيرة ، وهو يبعد الخطَّاف عن عنق (ممدوح) ، قائلًا :

ــ حسنًا .. ها هوذا يبتعد ، ولكن حذار أن تلجأ إلى الخداع ، فهذه المرَّة سيخترق مخلبى عنقك تمامًا .

قال (ممدوح) فى صرامة :

ــ ومن قال إنك ستجد الفرصة لذلك ؟

وفى حركة سريعة ، ارتكز بظهره على صدر الضخم ، ودفع قدميه فى وجه الدميم ، فألقاه بعيدًا فى قوة ، ثم دفع مرفقيه إلى الخلف ، محطِّمًا ضلع الضخم ، الذى تأوَّه فى قوة ، وهو يرخى قبضتيه عن معصمى (ممدوح) ، الذى سحب ذراعيه من يدى الضخم فى سرعة ، ودار على عَقِبيه فى مرونة ؛ ليهوِىَ على

فكَّ الرجل بلكمة ساحقة ، جعلت الرجل يترنَّح ، وهو يتراجع فى ألم ..

وانقضَّ الدميم ، الذى استعاد توازنه ، على (ممدوح) ، وهوَى بخطَّافه المعدنى على رأسه ، ولكن (ممدوح) مال جانبًا ، متفاديًا الضربة القاتلة ، وعاجل الدميم بضربة قوية من حافة راحته ، ألقت الرجل وسط الزجاجات المتراصَّة ، التى سقطت على رأسه ، وتهشَّمت على جسده ، على حين قفز الضخم نحو (ممدوح) ، وطوَّقه بذراعيه ، وراح يعتصره بعضلاته القوية ، وقد اكتست ملامحه بمزيج من الغضب والقسوة ، ولكن (ممدوح) هوَى على رأس غريمه بلكمة هائلة ، تفجَّر لها طنين قوى فى رأس الضخم ، الذى عجز عن اعتصار (ممدوح) ، وهو يشعر بعضلاته تتراخى ..

وهنا انطلقت قبضتا (ممدوح) فى ثلاث لكمات سريعة متلاحقة ، هوت على وجه الضخم كالقنبلة ، وألقته وسط الزجاجات المتراصة على الجانب الآخر ، والتى تهشَّمت بدورها على رأسه وجسده .

واندفع (ممدوح) نحو الباب الفولاذى ، ولكن الدميم اعترض طريقه ، وهو يلوِّح بخطَّافه الحادّ فى وجهه ، على حين

نهض الضخم من سقطته ، وقبض على عنق زجاجة محطمة ، واندفع نحو ظهر (ممدوح)

ووجد (ممدوح) نفسه محاصرًا ، برجلين مضرجين فى دمائهما ، وقد حوَّلتهما جروحهما إلى وحشين ثائرين ، ولن يهدأ بالهما إلا بتمزيقه إربًا ..

كان بين السندان والمطرقة ..

* * *

كان الأمر يحتاج إلى الدِّقة والسرعة والمهارة ؛ لذا فقد انتظر (ممدوح) حتى اقترب منه غريماه ، ثم قفز قفزة بارعة فى الهواء ، وفتح ساقيه عن آخرهما ، كراقصى الباليه ، راكلًا وجهى الرجلين فى آن واحد ، ثم هبط على قدميه ، وارتفعت قدمه اليمنى تركل معدة الدميم ، الذى انثنى فى ألم ، فطوَّق (ممدوح) عنقه بذراعه ، ثم قبض على ساعد يده ذات الخطَّاف ، ورفعها فى وجه الضخم ، الذى عاد يهاجمه بالزجاجة المكسورة ، ذات الأطراف الحادَّة ..

وفى مناورة بارعة ، هوَى (ممدوح) بالخطاف على يد الضخم ، وغرس نصله فى عظام كفِّه ، فصرخ العملاق فى ألم ، وسقطت الزجاجة من يده ، واستغلَّ (ممدوح) لحظة

الألم والارتباك ، فدفع الدميم نحو الضخم ، وتركهما يهويان وسط الزجاجات المحطَّمة ، ثم اندفع نحو باب آخر ، فى نهاية المخزن ، وفتحه ، وهو يندفع عَبْره ، حيث وجد نفسه داخل شارع ضيِّق مسدود ، فأدار عينه إلى الناحية الأخرى ، حيث وجد مخرجًا ، اندفع نحوه محاولًا الفرار ، قبل أن يعاود الرجلان مطاردته ، ولكنه فوجئ بسيارة زرقاء تعترض طريقه ، ثم تندفع نحوه ، عَبْر الشارع المسدود ..

واندفع (ممدوح) عائدًا ، والسيارة تطارده فى إصرار ، حتى التصق بالحائط المقابل ، والسيارة تندفع نحوه فى شراسة وإصرار ..

وأصبحت معركة رجل .. ضد سيارة ..

* * *

لم يكن هناك مجال للتفكير العقلانى أو المتَّزن ، فالموقف نفسه لم يكن كذلك ، كان كل شىء يُوحِى بالجنون ؛ لذا فقد اندفع (ممدوح) نحو السيارة ، ووثب فوق مقدمتها ، ثم اعتلى ظهرها ، وهى تواصل اندفاعها ، وقفز إلى الأرض ، وتابع انطلاقه نحو النهاية المفتوحة للشارع ، ولكنه فوجئ بسيارة أخرى تعترض طريقه ، فالتقط مسدَّسه ، ليطلق النار على

راكبيها ، ولكنه فوجئ بفوَّهة بندقية تلتصق برأسه من الخلف ، وسمع صوتًا صارمًا يقول :

ــ ألقِ مسدسك يا رجل ، فلن تجد الوقت لاستخدامه .

ألقى مسدَّسه فى سخط ، وهو يلوم نفسه ؛ لأنه نسى ركَّاب السيارة الأخرى ، على حين استطرد صاحب الصوت :

ــ هيَّا .. التفت فى هدوء ؛ لأرى وجهك أيها المغامر .

التفت إليه (ممدوح) ، وهو يقول فى سخرية :

ــ ما رأيك ؟.. هل أصلح كنجم سينمائى ؟

لم يجب الرجل ، وإنما التمعت عيناه على نحو عجيب ، أثار ريبة (ممدوح) ، فالتفت بسرعة ، ولكنه ــ وقبل أن يتمَّ التفاته ــ تلقَّى على مؤخرة عنقه ضربة قوية ، جعلته يسقط فاقد الوعى ، فأشعل الرجل سيجارته فى هدوء ، وهو يقول فى لهجة آمرة :

ــ احملوه إلى سيارتى .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة مخيفة ..

* * *

٧ ــ فى عرين الشيطان ..

استردَّ (ممدوح) وعيه بغتة ، إثر ضربة قوية من الماء فى وجهه ، ففتح عينيه ، وهو يمسح وجهه المبتل ، ووجد (سلفادور) أمامه يبتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ــ ها نحن أُولاءَ نلتقى مرَّة أخرى ، أيها البطل المغوار .

ثم أشار إلى تابعه بالانصراف ، على حين أجابه (ممدوح) فى هدوء ولا مبالاة :

ــ يبدو أنك قد جشَّمت رجالك العناء بلا طائل .. فلو أنك طلبت مقابلتى ودِّيًا ، لجئت إليك من تلقاء نفسى ، بدلًا من أن يسبق لقاءنا بعض الخسائر فى مخزن الخمور ، وإصابة اثنين من رجالك الظرفاء بعدة جروح ، فضلًا عن ....

قاطعه (سلفادور) ، قائلًا :

ــ هذان الوغدان ليسا من رجالى ، إنهما يعملان لحساب مروِّج هيروين ضئيل الشأن .. أما رجالى فهم الذين كانوا يتبعونك منذ البداية ، والذين أحضروك إلى هنا ، وهم يعرفون كيف يؤدون عملهم .

وتبدَّلت قسماته ، وهو يضغط أسنانه ، مستطردًا فى غضب :

ــ ولكن هذا لا يمنع من أنك قد كبَّدتنى بعض الخسائر بالفعل ، فقد أحبطت مخطَّطاتى ، بالنسبة للضابط (برناردو) ، وقتلت الكثير من رجالى ، وأجبرتنى على التخلِّى عن العمل علانيةً ، والانتقال من مخبأ إلى آخر كالجرذان ، وهذا يكفى لأن أقتلك شرَّ قتلة .. ولكننى لن أفعل ؛ لأننى أحتاج إليك ، كما أننى سأصفح عن كل خطاياك ، لو أثبتَّ لى أنك حقًّا الرجل الذى أنشده .

تطلَّع إليه (ممدوح) فى حَيْرة ، على حين تابع هو قائلًا :

ــ ولن أطالبك إلَّا بإتمام العمل الذى جئت من أجله ، على أكمل وجه ، بل سأعاونك على إتمامه أيضًا .. فلقد أبلغنى عملائى عن حقيقة شخصيتك ، وعن نجاحك فى مواجهة منظمات إجرامية عديدة ، وعن تاريخك الحافل فى العمل الأمنى ، مما جعل بلادك تفخر بك ؛ لذا فأنا أرجو أن تنجح فى عملك ، الذى سأعاونك لإتمامه بقدر استطاعتى .

سأله (ممدوح) فى دهشة :

ــ أتعنى أنك ستعاوننى ؛ للقضاء على (الأخطبوط) ؟.. ولكن لماذا ؟.. إنك أحد أفراد منظمته !

سلفادور :

ــ لأنه غدر بأحبِّ الأشخاص إلى قلبى ، وتسبَّب فى مصرعه .

واكتست ملامحه بالحزن ، وهو يستطرد :

ــ لقد قتل شقيقى (جوزيه لاراز) .

هتف (ممدوح) فى دهشة :

ــ (جوزيه لاراز) شقيقك ؟!

أجابه (سلفادور) فى حزن :

ــ نعم .. ولقد أراد (الأخطبوط) أن يخدعنى ، بادعاء أن رجال الشُّرطة هم الذين قتلوا أخى ، حتى لا يبُوح بأسرار من يعملون لحسابنا منهم ، ولكننى أعرف أنه كاذب ، فهو الذى أرسل من يقتله ، بعد أن هدَّده (جوزيه) بكشف أسرار منظمته ، مالم يساعده على الفرار .

ممدوح :

ــ ولماذا لا تنتقم منه بنفسك ؟

سلفادور :

ــ لأننى لا أعرفه ؛ فهو يتعامل معنا بواسطة رجل يدعى (أميلدو) ، وهو الذى ينظِّم الصفقات والاتفاقيات .. أما

(الأخطبوط) ، فهو فى الظل دومًا ، ثم إنه سيرتاب فىَّ ولا شك ، بعد أن قتل أخى ، على الرغم من تظاهرى بتصديق ادعائه .

ممدوح :

ــ وكيف يمكنك أن تعاوننى فى القضاء على شخص تجهله أنت نفسك ، على حدِّ قولك ؟

سلفادور :

ــ إن الطريق إلى (الأخطبوط) يبدأ بـ (أميلدو) .. فهو الرجل الثانى فى المنظمة ، وهو الوحيد الذى يتعامل مباشرةً معه ، وهو فى هذه اللحظة ينتظر حضور أحد كبار المهرِّبين فى الشرق الأوسط ، وهو لبنانى يدعى (سلمان) .. ولقد كنت الوسيط فى هذه الصفقة ، قبل مقتل أخى ، وحتى بعد ذلك ، حيث أتممت الاتفاق بين الطرفين على تدبير لقاء ، فى مزرعة (أميلدو) خارج العاصمة ، للتعاقد على صفقة هيروين كبيرة ، والمنظمة لم تتعامل مع هذا المهرِّب مباشرةً من قبل ، وأنا الوحيد الذى يعرفه حتى الآن ، ويمكننى أن أقدِّمك لهم ، على أنك ذلك الرجل ، فنذهب معًا إلى مزرعة (أميلدو) ، وهناك يمكنك أن تلتقط طرف الخيط ، الذى يقودك إلى (الأخطبوط) .

ممدوح :

ــ ولكنك تقول إنهم لا يُولونك ثقتهم الآن .

سلفادور :

ــ ولكننى لم أفقدها تمامًا .

ممدوح :

ــ حسنًا .. أنا أوافق .

سلفادور :

ــ ولكن لى شرطًا واحدًا .

ممدوح :

ــ ما هو ؟

سلفادور :

ــ ألا يشترك رجال الشُّرطة فى ذلك ، فمعظمهم مرتشون ، وعملاء للمنظمة ، ولست أحبّ أن أقضى نحبى بالوشاية ، قبل أن أرى بعينى نهاية (الأخطبوط) .

صمت (ممدوح) قليلًا ، ثم ابتسم قائلًا فى حزم :

ــ اتفقنا .

* * *

اخترقت السيارة مساحة شاسعة من الأعشاب ، فى طريقها إلى مزرعة (أميلدو) ، وفى منتصف الطريق استوقفها بعض المسلَّحين ؛ ليتأكَّدوا من هويَّة راكبيها ، ثم طلبوا من (ممدوح) و (سلفادور) أن يتبعاهم عَبْر غابة كثيفة ، قادتهما إلى بناء أشبه بالقصر ، استقبلهما (أميلدو) أمام سُلَّمه الرُّخامىّ ، وصافح (سلفادور) فى حرارة ، قائلًا :

ــ كم يسعدنى أن الظروف قد أتاحت لنا أن نلتقى من جديد ، يا عزيزى (سلفادور) .

قال (سلفادور) فى هدوء ، وهو يخفى لهيب حقده فى صدره :

ــ أنا أيضًا كنت أتطلَّع إلى هذا اللقاء يا سنيور (أميلدو) .. دَعْنى أُقدِّم لك السنيور (سلمان) ، الذى يرغب فى أن يكون عميلنا الدائم فى (بيروت) .

ابتسم (أميلدو) ، وهو يصافح (ممدوح) ، قائلًا :

ــ مرحبًا بك فى (سيدوراس) يا سنيور (سلمان) .. إننى أُتوق إلى هذا اللقاء ، منذ أمد طويل .

ثم ارتقى معهما درجات السُّلَّم الرُّخامىّ ، إلى داخل القصر ، على حين عاد رجاله المسلَّحون أدراجهم ، وقال (ممدوح) لـ (أميلدو) ، بعد أن استقرَّ المقام بثلاثتهم ، فى إحدى قاعات القصر الفاخرة :

— إننى أرغب فى شراء نصف طن من الهيروين دفعة واحدة يا سنيور (أميلدو) .. ولقد كنت أتعامل مع الآسيويين منذ زمن طويل ، ولكنهم عجزوا عن توريد مثل هذه الكمية ، ولقد أخبرنى صديقى (سلفادور) أن منظمتكم يمكنها تدبير ذلك .

قال (أميلدو) ، وهو يتفحّصه بعينين ثاقبتين :

— ولكن هذه الكمية باهظة الثمن ، وقد تكلّفك الملايين .

ممدوح :

— لو أن البضاعة من النوع الجيّد ، فسأدفع عشرة آلاف دولار للكيلوجرام الواحد .

أميلدو :

— بل خمسة عشر ألفًا .

ممدوح :

— دَعْنا لا نختلف على الثمن ، قبل أن أفحص عيّنة من البضاعة .

سلفادور :

— وأنا أضمن سداده للمبلغ فورًا ونقدًا .

أميلدو :

— وكيف يمكنك تهريب هذه الكمية الضخمة إلى (بيروت) ؟

ممدوح :

— هذا عملى .

أميلدو :

— حسنًا .. يمكنك أن تعتبر أننا قد اتفقنا بصورة مبدئية ، ولكن الكمية التى تطلبها ضخمة ، وتحتاج إلى بعض الوقت لإعدادها ، ولنقُل أنها تحتاج إلى ثلاثة أيام ، ويسعدنى استضافتك مع صديقى (سلفادور) طوال تلك الفترة .

ممدوح :

— شكرًا لك ، ولكن أرجو ألا يستغرق الأمر أكثر من ذلك .

أميلدو :

— اطمئن .. إنه لن يستغرق أكثر من ذلك ، وطوال الأيام الثلاثة يمكنكما اعتبار نفسيكما فى منزلكما ، ويمكنك أن تنتقل — مع صديقى (سلفادور) — إلى أى مكان يحلو لكما ، داخل المزرعة ، وسيلبى الجميع طلباتكما ، حتى ينتهى

إعداد البضاعة .. والآن سيصحبكما الخدم إلى حجرتيكما ؛ لتحصلا على بعض الرَّاحة .

ممدوح :

ــ إننى أشكرك على هذه الحفاوة يا صديقى .

همس (سلفادور) فى أُذن (ممدوح) ، وهما يتجهان إلى حجرتيهما :

ــ كن على حذر ، فهو سيجرى كل التحرِّيات اللازمة عنك ، خلالَ الأيام الثلاثة القادمة ، لقد لمحت الارتياب فى عينيه .

همس (ممدوح) بدَوْرِه ، قائلًا :

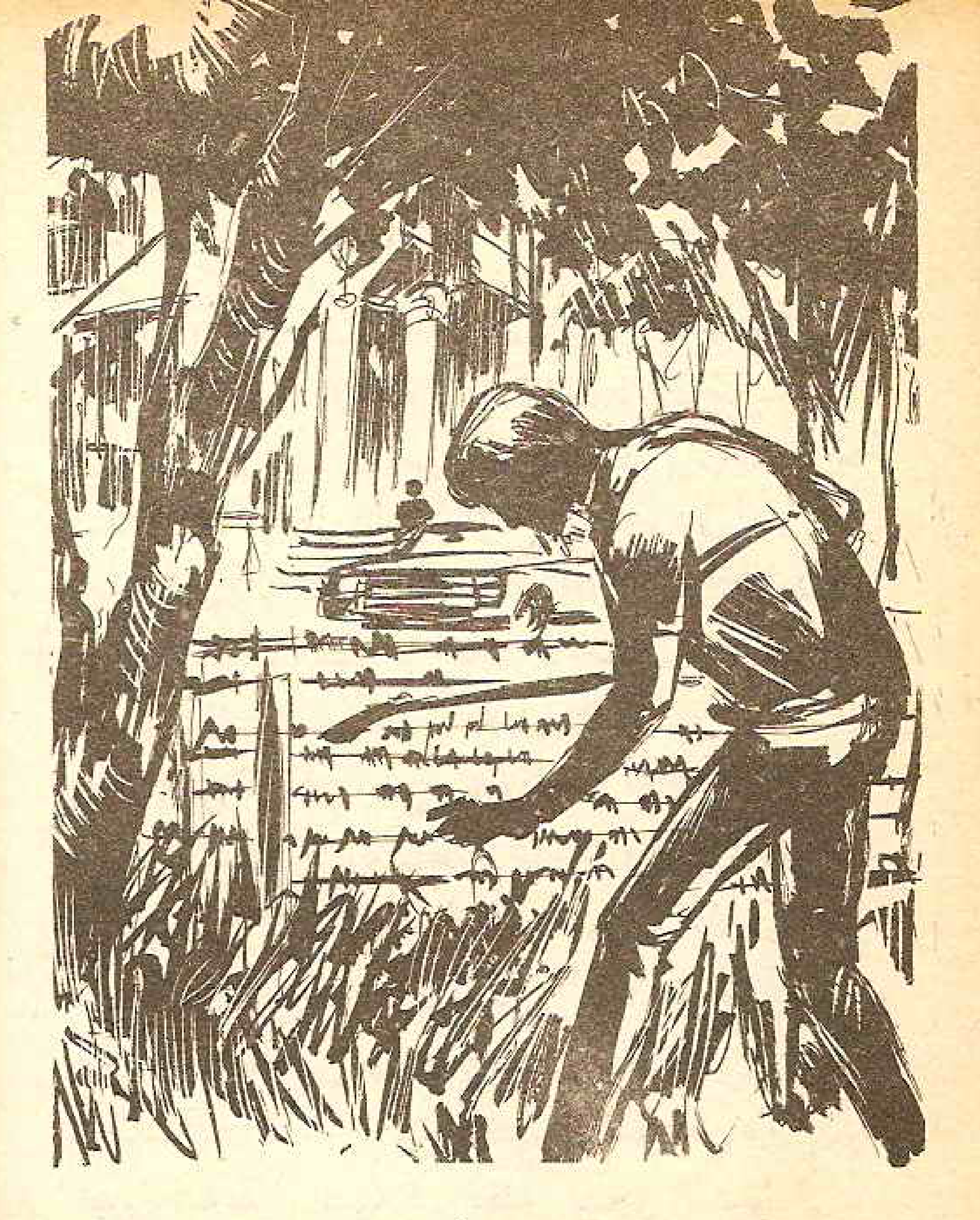
ــ أعرف ذلك ، وهذا يعنى أنه أمامنا ثلاثة أيام فقط لحسم الأمر .. ثلاثة أيام فقط .

* * *



٨ ــ القصر الغامض ..

قضى (ممدوح) اليوم التالى فى ممارسة رياضة (الجولف) مع (سلفادور) ، فى المكان المعدّ لذلك ، داخل مزرعة (أميلدو) ، ووقف اثنان من رجال هذا الأخير يراقبانهما ، وهما يحملان كرات وعصى اللُّعبة .. ولمح (ممدوح) فى أثناء تنقُّله من موقع إلى آخر ؛ لقذف الكرة ، سورًا من الأسلاك الشائكة ، خلف الأشجار التى تحدّ ملعب (الجولف) ، وانتابه الفضول ؛ لاستكشاف ما يوجد خلف هذا السُّور ، فتعمَّد أن يقذف الكرة على نحو خاطئ جعلها تستقر بين الأشجار ، ثم أشار إلى (سلفادور) بمشاغلة الرجلين ، على حين انطلق هو نحو الأشجار ، متظاهرًا بإحضار الكرة ، ووقف خلفها يفحص سور الأسلاك الشائكة ، الذى يفصل الأشجار عن أرض عُشبيَّة منحدرة ، والتقط من جيبه عملة معدنية ، ألقاها على السُّور ، فأحدث التقاؤهما شرارة كهربية صغيرة ، تشفُّ عن مرور تيار كهربىّ شديد فى الأسلاك ، يكفى لصعق الفضوليين ..



ووقف خلفها يفحص سور الأسلاك الشائكة ، التى يفصل الأشجار عن أرض عُشبيَّة منحــدرة ..

إلا أن هذا لم يمنع (ممدوح) من الاقتراب من السور فى حذر ؛ ليتطلَّع إلى ما خلف المنحدر العُشبىّ ، حيث رأى قصرًا عتيقًا يقوم أسفلها .. وعلى الرغم من بعد المسافة بينهما ، إلَّا أنه لمح (أميلدو) يُوقف سيارته أمام بوَّابة ذلك القصر العتيق ، ويخرج منها بصحبة أربعة مسلحين .

واكتفى (ممدوح) بما رأى ، فالتقط الكرة ، وعاد أدراجه .. ولم يكد يتجاوز سور الأشجار ، حتى وجد أحد رجلى (أميلدو) يعدُو نحوه لاهثًا ، بعد أن طال غيابه خلف الأشجار ، وتوقَّف الرجل ، وهو يرمقه بنظرة شك ، قائلًا :

ــ ماذا هناك يا سنيور ؟

أجابه (ممدوح) فى بساطة :

ــ لقد سقطت الكرة هنا ، فأتيت لإحضارها .

أجابه الرجل بلهجة قاطعة ، يغلِّفها الاحترام :

ــ لا ترهق نفسك مرَّة أخرى يا سيِّدى .. إننا هنا لخدمتك ، ونحن نحمل العديد من الكرات الإضافية .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ــ شكرًا لكل هذا الحرص على راحتى .

ثم عاد إلى حيث ينتظره (سلفادور) فى هدوء ، وهو يطلق من بين شفتيه صفيرًا مرحًا .

* * *

لم يكد (ممدوح) يلتقى بـ (سلفادور) ، بعد عودتهما إلى القصر ، حتى همس فى اهتمام :

ــ هناك قصر آخر ، عتيق الطراز ، خلف هذا الملعب ، ويبدو أن الاقتراب منه محظور .

سلفادور :

ــ أعلم ذلك ، و (أميلدو) يعتبر ذلك القصر العتيق ، والمنطقة المحيطة به ، من المناطق المحرَّمة داخل مزرعته .

ــ يبدو أن ذلك القصر العتيق يحوى الكثير من الأسرار .. لقد قرَّرت زيارته الليلة .

سلفادور :

ــ ولكنه محاط بتحصينات قوية .

ممدوح :

ــ أيًا كان الأمر ، لابدَّ من القيام بتلك الزيارة .

دخل (أميلدو) فى تلك اللحظة ، وهو يبتسم ابتسامة هادئة ، قائلًا :

ــ أرجو أن تكونا قد قضيتما وقتًا طيِّبًا ، فى ملعب (الجولف) .

أجابه (سلفادور) :

ــ نعم .. لقد أعادت لى ممارسة رياضة (الجولف) نشاطى وشبابى .

رمق (أميلدو) (ممدوح) بنظرة جانبية ، وهو يقول :

ــ أرجو أن يكون السنيور (سلمان) قد استمتع بذلك أيضًا .

ممدوح :

بالطبع .. إنك تملك ملعبًا ممتازًا .

قال (أميلدو) بغتةً :

ــ هل رأيت القصر العتيق ؟.. إنه أيضًا تحفة فنية معمارية .

أجابه (ممدوح) فى هدوء :

ــ نعم .. لقد رأيته بالمصادفة فى أثناء إحضارى لإحدى الكرات ، التى قفزت خلف الأشجار .

أميلدو :

ــ كنت أودُّ أن أتيح لكما فرصة زيارته ، ولكننى أحتفظ

فيه للأسف بذكريات قديمة أليمة ، لست أحب — حتى للمقرّبين — الاطلاع عليها ؛ لذا تجدنى أحيطه بالأسلاك الشائكة ، وأعزله تمامًا عن مزرعتى .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

— إنك تثير فضولى نحوه حقًّا يا سنيور (أميلدو).

عقد (أميلدو) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

— من الأفضل أن نتحدَّث عن العمل ياسنيور (سلمان) ، فهذا هو الشىء الوحيد ، الذى يثير فضولى .

* * *

انتهز (ممدوح) فرصة ذلك الحفل الصاخب ، الذى أقامه (أميلدو) فى مزرعته ، لأصدقائه ، وعملائه ، وانسحب من القاعة خلسة ، حيث نزع حُلَّة السهرة ، وأخفاها وسط أشجار المزرعة ، حيث كان يرتدى أسفلها سروالًا وقميصًا من اللون الأسود ، وأخذ يلطِّخ وجهه ببعض الطمى ، ليخفى ملامحه تمامًا ، ثم تسلَّل عَبْر الظلام إلى ملعب (الجولف) ، واخترق حاجز الأشجار ، وأخرج من جيبه شيئًا يشبه البالون ، راحَ يملؤه بالهواء من صدره ، حتى أصبح يشبه وسادة هوائية صغيرة ، وأخرج من جيبه قرصًا صغيرًا ،

أدار حروفه فى مهارة ، فاندفع منه تيار هوائى قوى وثبّته (ممدوح) فى فتحة الوّسادة ، وأحكم رباطه إليها بمشبك معدنى قوى ، ثم وقف فوق الوسادة التى ارتفعت عن الأرض فى بطء ، حتى أصبحت تعلو سور الأسلاك الشائكة ، ثم وجَّهها (ممدوح) لتعبره ، حيث بدأت تهبط فوق الأرض العشبيَّة المنحدرة ..

وقبل أن تستقرَّ الوسادة فوق الأرض بعدة أمتار ، قفز منها (ممدوح) ، وتدحرج فوق المنحدر ، على حين انفجرت الوسادة بدوِىٍّ مكتوم ..

وظلَّ (ممدوح) يتدحرج فوق المنحدر ، حتى استعاد توازنه ، على مسافة قريبة من الشجيرات القصيرة ، المحيطة بالقصر ، فنهض واقفًا ، وتطلَّع من بين الشجيرات إلى القصر ، الذى أحاط به عدد من الحرس المسلَّح ، وعدد من الأعمدة المعدنية المتقاربة ، تعلُو كل منها آلة تصوير تليفزيونية ؛ لمراقبة المنطقة المحيطة بالقصر ..

وأدرك (ممدوح) أن الأمر أكثر صعوبة مما كان يتوقَّع ، وأن منزل (سلفادور) الريفى كان أشبه بحجرة مدرسية صغيرة ، بالمقارنة بذلك الحصن المنيع ، ولكن عليه أن يبذل كل ما يمكنه ، لاقتحام ذلك القصر العتيق ..

وانتظر (ممدوح) حتى اقترب أحد الحرَّاس من مكمنه ، ثم داعب أوراق الشجيرات ، مصدرًا حفيفًا مثيرًا للشك ، جعل الحارس يتوقَّف ، ثم يتجه إلى الشجيرات ، بحثًا عن مصدر الصوت ..

وهنا برز (ممدوح) من مكمنه ، وجذب الحارس إليه فى سرعة وقوة ، ودفع ركبته فى وجهه بضربة قوية ، ثم لوَى ذراعه خلف ظهره فى سرعة ، وكال له لكمة ساحقة أفقدته الوعى ، ثم أسرع يرتدى ملابسه ، وتقدَّم فى هدوء نحو القصر ، وقد بدا لمراقبى آلات التصوير كأحد الحراس ، وهو يدور حول القصر بحثًا عن منفذ ، حتى استرعت انتباهه نافذة صغيرة ، فى الطابق الأوَّل من الجانب الخلفى للقصر ، تنسدل إلى جوارها بعض المواسير الحديدية ، وتبتعد عنها عدسات آلات التصوير التليفزيونية ، فهمَّ بالتعلُّق بالمواسير ، ولكنه تسمَّر فجأة ، حينما سمع من خلفه صوتًا يقول :

ــ لحظة يا صديقى .

واستدار فى سرعة ، ليجد أمامه فوهة مدفع آلىّ ، وخلفها أحد حرَّاس القصر ..

* * *

تجمَّد (ممدوح) فى مكانه ، وهو يتطلَّع إلى الرجل ، الذى بدا وكأن الأرض قد انشقَّت عنه ، واستعدَّ لمهاجمة الرجل ، لولا أنه خفض فوَّهة مدفعه الآلى ، ودسَّ سيجارة بين شفتيه ، وهو يستطرد فى هدوء :

ــ أأجد لديك ثقابًا ، لإشعال سيجارتى ؟

أخرج (ممدوح) قدَّاحته ، ليشعل سيجارة الرجل ، ولكن عينى الرجل تحجَّرتا على وجهه ، حينما رأى لهب القدَّاحة ، وتراجع وهو يغمغم فى توتُّر :

ــ من أنت ؟.. إننى لم أرك هنا من قبل !

جاءت إجابة (ممدوح) على هيئة لكمة ساحقة ، هوَت على فكّ الرجل ، تبعتها أخرى فى معدته ، قبل أن يمسك (ممدوح) رأسه فى قوة ويدفعها ؛ لترتطم بالماسورة المعدنية ، فسقط الرجل فاقد الوعى ..

وابتسم (ممدوح) فى سخرية ، وهو يتسلَّق الماسورة ، مغمغمًا :

ــ معذرة يا عزيزى ، لن يمكنك إشعال سيجارتك الآن .

وواصل تسلُّقه فى سرعة ، حتى بلغ النافذة الصغيرة ، فقفز عَبْرها إلى حجرة صغيرة ، لم تكد قدماه تمسَّانها ، حتى فوجئ أمامه برجلين يلعبان الورق ، حدَّقا فى وجهه بذهول ، ثم اندفع كل منهما نحو مسدَّسه ..

وكانت الأوامر الموجَّهة إليهم ، فى هذا الشأن ، حازمة حاسمة ..

كانت تقتضى قتل أى دخيل .. بلا تردُّد ..

* * *



٩ ـــ أسنان الهلاك ..

كان (ممدوح) هو الأسبق إلى إشهار مسدَّسه ، فصوَّبه إلى الرجلين فى حزم ، وهو يضع سبَّابته فوق شفتيه قائلًا :

ـــ لا تزعجا نفسيكما من أجلى ، عودا إلى لعب الورق ، وتصرَّفا وكأنكما لم تلحظا وجودى .

حاول أحدهما أن يلتقط مسدسه ، ولكن (ممدوح) استطرد فى صرامة :

ـــ حَذار أن تفعل .. إن مسدَّسى كما ترى ، مزوَّد بكاتم للصوت ، وهذا يعنى أننى أضمن لكما ميتة هادئة ، لو أقدمتما على أى تصرُّف متهوِّر .. والآن أديرا ظهريكما إلىَّ ، ودعانى أرى أيديكما فوق المائدة ، لضمان عدم الغش فى لعب الورق .

أطاع الرجلان الأمر فى حَنَق ، ووقف هو خلفهما ، مستطردًا :

ـــ هذا أفضل بالتأكيد .

ثم هَوَى بمقبض مسدسه على مؤخرة رأسيهما ، وأرسلهما فى

فصوَّبه إلى الرجلين فى حزم ، وهو يضع سبَّابته فوق شفتيه قائلًا :
— لا تزعجا نفسيكما من أجلى ، عودا إلى لعب الورق ..

غيبوبة عميقة ، وفتح الصوَّان المثبت إلى الحائط ، ودفعهما داخله ، ثم أغلقه عليهما فى إحكام ، وتسلَّل خارج الحجرة فى هدوء ، حيث وجد نفسه داخل دهليز طويل ممتد ، سار عَبْره حتى نهايته ، فوجد أمامه قاعة ضخمة ، محاطة بجدران زجاجية سميكة ، تتحرَّك خلفها خيالات غير واضحة .. ثم لم يلبث أن لمح شخصًا قادمًا ، يرتدى معطفًا أبيض اللون ، كأحد العاملين فى المختبرات العلمية ، فأسرع يختفى خلف أحد الجدران ، حيث رأى الرجل يتوقَّف أمام أحد الأبواب الزجاجية للقاعة ، فانفتح الباب تلقائيًّا حتى عَبَره الرجل إلى داخل القاعة ، فعاد يُغْلق فى هدوء ..

وتبعه (ممدوح) فى جسارة ، دون أن يبالى بما ينتظره خلف الباب ، ولكن الباب لم يكد يُفتح ، حتى تسمَّر (ممدوح) مبهوتًا ..

كان أمامه معمل كيميائى ضخم .. بل مجموعة من المعامل تضمّها القاعة ، وفريق هائل من العاملين ، يتجاوز المائتين ، يعمل كخليَّة نحل نشطة ؛ لإعداد كميات هائلة من الهيروين ..

وتسمَّر (ممدوح) فى مكانه مذهولًا ، وهو يغمغم :

— إذن .. فهنا ينبت سُم (الأخطبوط) !!.. ومن هنا يصدِّر الهلاك إلى العالم !!

وبينما يتطلَّع إلى ما أمامه مشدوهًا ، مأخوذًا ، أتى من خلفه — بخطوات صامتة — رجل مفرط البدانة ، منتفخ الوجه ، يبدو كما لو كان دبًّا ضخمًا ، وأمسك كتفه بكفه الغليظة .. فالتفت إليه (ممدوح) فى سرعة ، ولكن الرجل قبض على معصمه بيد من فولاذ ، وأجبره على ترك مسدَّسه ، وهو يحدِّق فى عينيه بعينين وحشيتين صارمتين .. وحاول (ممدوح) أن يلكم ذلك الدُّبّ فى كرشه الضخم ، ولكن الرجل لم يتزحزح من مكانه ، وإنما ترك معصم (ممدوح) ، الذى كاد يتحطَّم ، وضمّ قبضتيه ، ورفعهما إلى أعلى ، ثم فتحهما فجأة ، وهوَى بهما على جانبى رأس (ممدوح) ، الذى سقط فاقد الوعى دفعة واحدة ورأسه يرتجّ فى قوة ..

* * *

« المكان أشبه بمصنع أخشاب حديث .. » ..

هذا مادار بخُلْدِ (ممدوح) ، وهو يستعيد وعيه ، ليجد نفسه موثق اليدين والقدمين فى إحكام ، فوق كتلة عريضة من الخشب الغليظ ، وسط عشرات الكتل المشابهة ، فوق سير

متحرِّك ، وعلى مقربة منه رأى (سلفادور) مقيَّدًا ، فوق كتلة خشبية مشابهة ، فغمغم فى سخرية ، وهو يلتفت إليه :

— هل سيصنعون لنا تماثيل خشبيَّة ؟

ولكن (سلفادور) أجابه فى يأس :

— بل سيشقوننا نصفين .

تطلَّع إليه (ممدوح) فى دهشة ، محاولًا تبيُّن ما إذا كان صادقًا فى قوله ، ولكنه فوجئ بـ (أميلدو) يقترب من السَّير المتحرِّك ، ويقف أمامه قائلًا :

— لقد نصحتك من قبل ألا تتمادى فى فضولك ، أيها المقدَّم المصرىّ ، ولكنك لم تستجب لنصائحى ، وذهبت إلى القصر العتيق ، وشاهدت معامل الهيروين ، وهأنتذا ترى جزاء من يرفضون نصائحى .

ثم تحوَّل إلى (سلفادور) ، مستطردًا بنظرة متهكِّمة :

— وأنت يا عزيزى (سلفادور) ، متى تحوَّلت من مهرِّب إلى مرشد للشُّرطة ؟

أجابه (سلفادور) فى تحدٍّ :

— منذ قتلتم أخى ، وتيقَّنت من أنه يسهل عليكم التخلُّص من رجالكم المخلصين .

أميلدو :

ـــ رجالنا المخلصون لا يطلقون ألسنتهم بالتهديد .. لقد حاول أخوك مساومتنا على تهريبه ، وهدَّد بفضح أسرار المنظمة .. لذا كان من المحتَّم قتله ، حتى يكون عبرة للآخرين .. وعلى الرغم من ذلك ، فقد كنت أتصوَّر أن ولاءك للأخطبوط أقوى بكثير من الأواصر الأخوية ، والأمور العاطفية ، التى تعلم جيِّدًا أنه لا مكان لها فى منظَّمتنا ، التى جعلت منك مليونيرًا ، بعد أن كنت معدمًا ، لا تجد قوت يومك .. ولست أدرى كيف هيَّأ لك غباؤك أننا سنسلِّم بقصة ذلك المهرِّب اللبنانى ، الذى جاء بصحبتك ، دون بحث أو تقصٍّ ، على الرغم من معرفتك الجيِّدة لوسائل المنظَّمة ، فى جميع المعلومات عن عملائها الجُدُد ، وقوة اتصالاتها فى الداخل والخارج .. لقد تمنَّيت من البداية أن تكون صادقًا فى إخلاصك للأخطبوط ، وأن تُثبت تحرِّياتنا صدق ادعاءاتك ؛ لأنك كنت بالفعل أحد رجالنا المخلصين والممتازين ، ولكن خاب أملى فيك ، بعد أن أكَّدت تحرِّياتنا خيانتك ، وأنك جئت بذلك المصرى إلى هنا ؛ لكشف أسرارنا .

سلفادور :

ـــ أما وقد عرفت ذلك ، فما هو المطلوب منِّى ؟

أميلدو :

ـــ أن تخبرنى بمدى تورُّطك فى خيانتنا ، وما الذى كشفته من الأسرار ، عن عملاء المنظَّمة ؟ وما الأطراف التى تعلم بمجيئك مع ذلك المصرى إلى مزرعتى ؟

أجابه (سلفادور) فى سخرية :

ـــ ولماذا لا تلجأ إلى وسائل المنظمة المتقدِّمة ، فى جمع المعلومات ، وإلى مصادرها المتعدِّدة ؛ لتحصل على ما تريد من معلومات ؟

أميلدو :

ـــ لأننى أريد اختصار الوقت والجهد ، ومنحك فرصة للتكفير عن بعض أخطائك ، بدلًا من قتلك بإحدى وسائلنا القاسية .

سلفادور :

ـــ إنك ستقتلنى فى النهاية ، على أيَّة حال ، وسأموت دون أن تحصل منِّى على إجابة واحدة .

تجهَّم وجه (أميلدو) ، وهو يقول :

ـــ احمل إجاباتك معك إلى الجحيم إذن .

وأشار إلى أحد أعوانه ، فضغط على زرٍّ أمامه ، وبدأ السّير ، الذى يحمل الكتل الخشبيـة ، يتحرَّك فى بطء ، نحو منشار دائرى كهربى ضخم ، فى نهاية السّير ، وراحت أسنانه الحادَّة تدور فى سرعة ، محدثة أزيزًا مخيفًا ..

وتجمَّدت الدماء فى عُروق (ممدوح) ، وهو يتطلَّع إلى الكتل الخشبية الضخمة ، التى تشطرهـا الأسنـان الحادَّة شطرين ، فى ثوان معدودة ..

وحانَ دور الكتلة الخشبية ، التى قُيِّد إليها (ممدوح) ، وراحت تقترب من أسنان المنشار الكهربى فى بطء ، حتى أيقن (ممدوح) من الهلاك ، وقد أصبح على قيد خطوات من أسنان الموت ..

* * *



١٠ ـ الخصم العنيد ..

صاح (ممدوح) فجأة ، محاولًا كسب مزيد من الوقت ، قبل أن تشطره أسنان المنشار شطرين :

ـ (أميلدو) .. إنك ترتكب خطأً كبيرًا بقتلنا .. فهناك جهات عليا فى (سيدوراس) ، تعلم أننا فى مزرعتك .. وهناك سيارة تقف فى موقع قريب من هنا ، تتلقَّى إشارة خاصة كل ساعة ، بواسطة جهاز إرسال صغير ، أخفيتـه فى كعب حذائى ، ومالم تصلهم تلك الإشارة ، خلال عشر دقائق ، فسيخطرون الجهات العليا ، ويهاجمون مزرعتك على الفور .

قال (أميلدو) فى شك :

ـ أنت تكذب .

هتف (ممدوح) ، وقد بدأت أسنان المنشار تشقّ كتلته الخشبية :

ـ تأكَّد بنفسك من وجود جهاز الإرسال ، فى كعب حذائى .

أشار (أميلدو) إلى مساعده ، الذى أوقف حركة السَّير بضغطة زرّ ، قبل لحظة واحدة من وصول أسنان المنشار إلى جسد (ممدوح) ، الذى تنفَّس الصُّعَداء ، وأخذ وجهه يكتسى بعرق بارد ، على حين لم يكن (سلفادور) بأحسن حالًا منه ، إذ بدت عروق وجهه منتفخة ، من شدة الانفعال والخوف ..

وطلب (أميلدو) من مساعده فحص حذاء (ممدوح) ، بحثًا عن جهاز الإرسال ، فانتزع الرجل حذاءَ (ممدوح) ، وأداره ، ثم انتزع كعبه ، وأخرج جهاز الإرسال الدقيق ، وقدَّمه إلى (أميلدو) ، الذى تناوله فى راحته ، وراح يفحصه فى اهتمام ، وقد بدت على وجهه إمارات التفكير العميق ، ثم قال لـ (ممدوح) :

ــ حسنًا أيها المقدِّم .. إنك تحمل جهاز الإرسال حقًّا ، ولكننى أشكُّ فى صدق الجزء الآخر من روايتك ، أو فى الأسلوب الذى رويتها به على الأقلّ ، فقد يكون إرسال الإشارة دعوة صريحة لمهاجمة مزرعتى ، وليس العكس .. كما قد لا تكون الجهات العليا على أدنى معرفة بقدومك إلى هنا ، وفى انتظار أن تحدِّد لهم ذلك بواسطة الإشارة المتفق عليها ؛

لذا فإننى أطلب منك إعادة سرد روايتك ، ولكن بتحديد أكثر ، وتفاصيل أدقّ ، فتخبرنى مثلًا ماهى تلك الجهات العليا ، التى ذكرتها ؟.. وأين موقع تلك السيارة ، التى تنتظر إشارتك ؟ و....

قبل أن يتمَّ عبارته ، دخل أحد رجاله إلى القاعة ، قائلًا فى اهتمام :

ــ لقد حضر سنيور (چاك) يا سيِّدى ، وهو ينتظرك فى حجرة الاستقبال .

أميلدو :

ــ حسنًا .. إننى قادم إليه على الفور .

انصرف الرجل ، على حين التفت (أميلدو) إلى (ممدوح) ، وقال وهو يهمّ بالانصراف بدَوْره :

ــ سأعود إليك سريعًا ، ويمكنك انتهاز فرصة غيابى لتنسيق إجابات صادقة ودقيقة ، وتذكَّر أن المنشار مازال يعمل ، وقد أستخدمه لبتر أطرافك ؛ لإجبارك على الاعتراف بكل ما أريد .

لم يكد ينصرف ، حتى تحوَّل (سلفادور) إلى (ممدوح) ، يسأله فى توتُّر :



على حين اقترب (برناردو) من (ممدوح) ؛ ليحلّ وثاقه ..

ـــ هل قصة جهاز الإرسال حقيقية ؟

اختلس (ممدوح) النظر إلى رجلَىْ (أميلدو) ، اللَّذَيْن بقِيا داخلَ المصنع ، وهو يهمس :

ـــ إلى حدٍّ ما .. فقد أضفت إليها ما يمكن أن يثير اهتمامه .

غمغم (سلفادور) ، وقد عاد إلى لهجته اليائسة :

ـــ إن هذا لن يمنعه من قتلنا على أيَّة حال .

فى تلك اللحظة فتح أحدهم الباب ، وتقدَّم خطوة إلى الأمام ، ولكنه لم يلبث أن اندفع فجأة ، حتى كاد يسقط ، ومن خلفه برز (برناردو) ، الذى اقتحم المكان شاهرًا مسدَّسه ، وهو يهتف فى وجوه الرجال الثلاثة فى صرامة :

ـــ تحرَّكوا نحو الجدار ، رافعين أيديكم إلى أعلى .

شعر (ممدوح) بفرحة غامرة لرؤية صديقه ، الذى وصل فى وقت مناسب ، وتهلَّلت أساريره حينما امتثل الرجال الثلاثة للأمر ، والتصقوا بالجدار رافعين أيديهم ، على حين اقترب (برناردو) من (ممدوح) ؛ ليحلّ وثاقه ، دون أن يرفع عينيه أو فوَّهة مسدَّسه عنهم ..

وبينما يحل وثاق (ممدوح) ، غافله أحد الرجال ، والتقط قطعة سميكة من الخشب ، قذفها نحوه ، فأطاحت بمسدَّسه ،

واندفع الرجل ليهوى على رأسه بقطعة أخرى ، ولكن (برناردو) مال جانبًا ، متفاديًا الضربة ، على حين اندفع الرجلان الآخران لتناول أسلحتهما ، إلا أن (ممدوح) حلَّ ما تبقَّى من وثاقه فى سرعة ، وقفز من فوق الكتلة الخشبية ، نحو الرجلين ، وأطاح بأحدهما بلكمة قوية ، على حين طوَّق الآخر وسطه من الخلف ، فأدار (ممدوح) ذراعيه خلف ظهره ، وأمسك رأس الرجل ، وألقاه من فوق كتفيه على زميله ، ثم التقط كتلة خشبية ، وعاجل بها الرجلين بضربتين قويَّتين ، أطاحتا بهما أرضًا ..

وفى هذه الأثناء ، كان (برناردو) يحاور خصمه ، الذى حاصره فى أحد الأركان ، محاولًا ضربه بقطعة خشبيَّة غليظة ، ولكن (ممدوح) هوَى بالكتلة الخشبية على ذراع الرجل ، ثم على فكِّه ، فألقاه إلى جوار زميليه فاقد الوعى ..

وابتسم (برناردو) ، وهو يقول لـ (ممدوح) لاهثًا :

ـــ يبدو أنك تصرُّ دومًا على انتزاع دور المنقذ منِّى يا صديقى .

ابتسم (ممدوح) بدَوْرِه ، قائلًا :

ـــ بل أنت الذى لعب ذلك الدور عن جدارة هذه المرَّة يا صديقى .. فلولا حضورك الآن ، لاستلمت جثة كل منا فيما بعد ، على دفعتين .

اشترك الاثنان فى حلِّ وثاق (سلفادور) ، الذى قال لـ (برناردو) مازحًا :

ـــ لم أتصوَّر يومًا أننى سأشعر بكل هذا القدر من السعادة ؛ لرؤيتك .

التقط كل منهم سلاحًا ، على حين سأل (ممدوح) (برناردو) :

ـــ ولكن كيف استطعت الوصول إلى هنا ؟

برناردو :

ـــ لقد تعقَّب المخبر ، الذى أرسلته خلفك ، إشاراتك اللاسلكية ، واستطعنا أن نحدِّد أنك فى مزرعة (أميلدو) الخاصة ، وبقيت أمامى مشكلة التسلُّل إلى هنا .. ولقد تغاضيت عن فكرة اقتحام المكان بقوات كبيرة ؛ نظرًا لجهلى بما يدور داخل المكان ، وخوفًا على حياتك .. إلى أن فاجأتنى حقيقة مؤسفة ، عجزت عن استيعابها طويلًا ، ألا وهى أن سنيور (چينيور) ، رئيس مكافحة المخدرات ، ذو صلة وثيقة

بـ (أميلدو) ، وأنه من أخطر عملائه السرّيّين ، وذلك يفسّر فشلنا فى القبض على كبار المهربين ، ورفضه التام لكل ما قدّمته من مخططات ، للإيقاع بالأخطبوط ، وكشف مخازنه السرّية .. ويكشف أيضًا مدى قوة تجار المخدرات فى (سيدوراس) ، ومدى تغلغلهم فى السلطة .

قال (سلفادور) ، وهو يومئ برأسه مؤيّدًا :

ـــ إننى أعرف ذلك جيّدًا ، ولكننى لم أتصوّر أن يكون رئيس مكافحة المخدرات ضمن عملائهم .. فقد أخفى (أميلدو) ذلك عنّى تمامًا ، ربّما لأن (الأخطبوط) كان يحافظ على سرّية أكبر عميل له .

ممدوح :

ـــ ولكن كيف كشفت ذلك ؟

برناردو :

ـــ لا وقت لسرد التفاصيل الآن .. المهم أننى علمت أنه سيتوجّه إلى مزرعة (أميلدو) فى سيارة خاصة ؛ لينقل إليه بعض المعلومات الهامة ، حول شحنة من الأفيون الخام ، فى طريقها إلى هناك ، وهو يأتى منتحلًا اسم (چاك) .. ولقد انتهزت الفرصة ، واختفيت فى حقيبة سيارته ، حيث عَبَر كل

حواجز الأمن إلى هنا ، بلا مخاطر ، وتتبّعت إشاراتك اللاسلكية ، حتى توصّلت إلى مكانك هنا .

ممدوح :

ـــ عليك أن تغادر المزرعة بنفس الوسيلة إذن ، فلقد ذهب (أميلدو) منذ لحظات لمقابلة (چينور) ، وبعدها سيعود هو إلى هنا ، على حين يغادر (چينور) المزرعة .. وعليك أن تختفى فى حقيبة سيارته قبل رحيله .. وعند وصولك إلى المدينة ، اطلب مقابلة وزير الداخلية شخصيًّا ، وأطلعه على كل شىء ، وأخبره أنك تحتاج إلى قوات أمن كافية ، وأنك ستقودها بنفسك ، نظرًا لأنك لم تعد تثق فى أى شخص آخر ، فلقد كشفت وجود معامل ضخمة هنا ، لتحويل الأفيون الخام إلى هيروين ، داخل القصر العتيق ، فى أطراف المزرعة ، ويوجد جيش من رجال المنظمة ، لحماية تلك المعامل ، ولاشكّ أن (الأخطبوط) يدير المنظّمة من هناك .

برناردو :

ـــ وماذا ستفعلان أنتما ؟

ممدوح :

ـــ سنبحث عن (الأخطبوط) .

أضاف (سلفادور) فى حزم :

ـــ وسأقتله ، فبيننا ثأر لا يشفيه إلّا الدم .

ممدوح :

ـــ المهم أن تسرع بمغادرة المكان ، قبل أن تقع فى أيديهم .

أسرع (برناردو) يغادر المكان ، على حين انتظر (ممدوح) و (سلفادور) عودة (أميلدو) ، الذى لم يلبث أن وصل مع أحد أعوانه ، فتلقّى (سلفادور) معاونه بضربة قوية على رأسه ، أسقطته فاقد الوعى ، على حين ألصق (ممدوح) فوّهة مسدّسه بظهر (أميلدو) ، قائلًا فى لهجة آمرة :

ـــ خطوة أخرى إضافية ، وألهب رأسك بالرصاص .

قال (أميلدو) فى غضب ، بلهجة تحمل الإنذار والوعيد :

ـــ هل تقدّر خطورة ما تفعل ؟.. إنك لن تخرج من هنا حيًّا ، حتى بمعاونة مرشدك الحقير ، والحديث بالمسدسات لا يصلح معى .

ممدوح :

ـــ تذكّر أنك تواجه رجلًا ، كان يستعد لمواجهة الموت منذ لحظات ، بمنشار كهربى حادّ .. ولو أن الموت ما زال

ينتظرنى فى مزرعتك ، فثق أننى لن أذهب وحدى .. سأصحبك عندئذ معى .

ثم ألقى نظرة على (سلفادور) ، الذى ارتدى ثياب معاون (أميلدو) ، وعاد يستطرد فى حزم :

ـــ والآن تقدّم أمامى ، دون أن يغيب عن ذهنك لحظة أنك بين خصمين مسلحين ، لن يتردّدا فى قتلك ، إذا ما تسلّل إلى قلبيهما مثقال ذرّة من شك .

غمغم (أميلدو) فى حَنَق :

ـــ أنتما تلعبان بالنار .

أجابه (ممدوح) فى سخرية :

ـــ هذا صحيح ، وسنطلق على اللّعبة اسمًا يُروق لك .. سنطلق عليها اسم (ابحث عن الأخطبوط) ..

* * *



١١ ــ الرأس المدبِّر ..

اجتاز (أميلدو) ، مع (ممدوح) و (سلفادور) ، تلك البوَّابة ، التى تفصل القصر العتيق عن الجديد دون أن يأتى ما يثير شكوك رجاله ، أو يشير إلى أنه يسير على الرغم منه ، فقد كان يعلم ــ عن يقين ــ أن المسدَّسين اللَّذيْن يخفيهما (ممدوح) و (سلفادور) فى جيبيهما ، لن يترددا فى ملء جسده بالرّصاصات ، ولكنه توقَّف ، بعد دخولهما إلى القصر ، أمام حجرة مغلقة بباب فولاذىّ صلب ، وقال :

ــ هذا الباب يؤدى إلى المكان الذى يختفى فيه (الأخطبوط) ، ولكنه لا يُفتح إلَّا بواسطة بطاقة خاصَّة ممغنطة ، يتم وضعها داخل ذلك التجويف الرفيع ، المجاور للباب ، وهذه البطاقة فى جيبى الأيمن ، فهل أستخدمها ؟

قال (ممدوح) فى حزم :

ــ انتظر .

ثم أشار إلى (سلفادور) ، فأسرع يفتِّش جيوب

(أميلدو) ، وأخرج البطاقة من جيبه ، وقدَّمها إلى (ممدوح) ، الذى طلب منه وضعها فى التجويف الخاصّ بها ، على حين ابتسم (أميلدو) ابتسامة غامضة خبيثة ؛ فقد كان هذا ما يريده بالضبط ؛ إذ أن البطاقة مجهَّزة لإصدار إشارة إنذار إلى حجرة المراقبة بالقصر ، لتنبيههم إلى وجود خطر ما ..

ولقد تلقَّت حجرة المراقبة إشارة الإنذار ، فأدار الجالسون فيها شاشات المراقبة ، ورأوا (أميلدو) بصحبة (ممدوح) و (سلفادور) ، فقال أحدهم :

ــ أرسلوا إشارة عاجلة إلى حرّاس القصر ، فهذان الرجلان يجبران سنيور (أميلدو) على السير معهما ، تحت تهديد السلاح .

وفى نفس الوقت ، فُتِحَ الباب الفولاذىّ ، فدخل (ممدوح) و (سلفادور) خلف (أميلدو) إلى قاعة فسيحة ، على جانبيها عدد من الأبواب المغلقة ، على حين عاد الباب يغلق خلفهم فى صمت ..

وفجأة .. فُتِحَتْ عدة أبواب جانبية ، واندفع منها عشرة رجال مسلحين ، أحاطوا بـ (ممدوح) و (سلفادور) ،

طالبين منهم رفع أيديهم إلى أعلى ، فألقى (ممدوح) سلاحه ، وقد أدرك أنه وقـع فى فخٍّ مُحْكَـم ، على حين رفض (سلفادور) الاستسلام ، وأطلق رصاصات مسدَّسه على ثلاثة من رجال (أميلدو) ، قبل أن تنهال عليه الرصاصات من كل جانب ، وأصابته فى جمجمته رصاصة من مسدَّس (أميلدو) فسقط جثة هامدة ، مضرجًا بدمائه ..

وفى خضمِّ المعركة ، اندفع (ممدوح) نحو أقرب باب إليه ، ودفعه بكتفه ، فانفتح على مصراعيه ، واندفع داخل الحجرة ، تلاحقه رصاصات رجال المنظَّمة ، حتى قفز نحو زجاج نافذة قريبة ، واخترقها مهشِّمًا زجاجها ، دون أن يُبالى بما أصابه من جروح ، أو حتى بالارتفاع الذى ينتظره خلفها ..

ولدهشته هبط على قدميه فى سرعة ، داخل ساحة كبيرة مغلقة ، يتوسَّطها قبر رخامى أنيق ..

وقرأ (ممدوح) على القبر اسم صاحب القصر القديم ، ولكن الرصاصات التى ما زالت تلاحقه ، منعته من قراءة المزيد ، فأسرع يحتمى بجانب القبر ، وهو يتساءل فى دهشة عن سرِّ وجود القبر داخل القصر ، وتضاعفت دهشته حينما

لمح فى ركن القبر تجويفًا ضيِّقًا ، تبرز داخله ذراع معدنية رفيعة ، فأسرع يجذب الذراع .. ولم يكد يفعل حتى تحرَّك جانب القبر ، كاشفًا فتحة واسعة ، داخلها مصعد صغير ..

وبلا تفكير .. قفز (ممدوح) داخل المصعد الصغير ، وضغط الزِّرَّ الوحيد فى جداره ، وهو يجلس القرفصاء ، فهبط به إلى أسفل ، وعاد جانب القبر يُغْلَقُ من جديد ..

وشعر (ممدوح) أنَّ المصعد قد هبط إلى مسافة قصيرة ، قبل أن يستقرَّ ثابتًا ، فزحف خارجه ، ليجد نفسه إزاء مفاجأة جديدة ..

كان داخل مخزن كبير ، يحوى كميات ضخمـة من الهيروين ، داخل أكياس بلاستيكية ، معدَّة للتوزيع ..

وراح (ممدوح) يتجوَّل داخل المخزن ، حتى كشف وجود مخزن آخر للأسلحة ، مكدَّس بأنواع مختلفة من المدافع والبنادق الآلية ، والقنابل اليدويَّة والإليكترونية ، مما يؤكِّد أن منظمة (الأخطبوط) قد أعدَّت نفسها للدفاع عن سمومها بكل الوسائل والقوى ..

وتبيَّن لـ (ممدوح) وجود مصعدين آخرين ، فى جانب المخزن ، يتميَّزان عن الأوَّل بكونهما أكبر حجمًا ، فاستقلَّ

أحدهما ، وضغط زِرَّه ، فارتفع به إلى أعلى هذه المرَّة ، حتى توقَّف أمام جدار خشبىّ ، لم يلبث أن انشقَّ ، كاشفًا فتحة عَبر خلالها (ممدوح) ، ثم عادت تلتئم خلفه ، فاستدار يتطلَّع إلى الجانب الآخر للجدار الخشبىّ ، وأدهشه أنه عبارة عن لوحة زيتية ضخمة ، تحمل صورة مفزعة لأخطبوط بشع ..

وعلى الضوء الخافت ، المنبعث من حوض أسماك ، رأى (ممدوح) دُخانًا ينبعث من سيجار ، يدخِّنه شخص يجلس فى مواجهة حوض الأسماك ، ويُوَليه ظهره ..

وبدون أن يستدير الرجل نحو (ممدوح) ، قال فى هدوء :

ـــ مرحبًا بك فى وكرى الخاص ، أيُّها المقدَّم المصرىّ .

هتف (ممدوح) فى دهشة :

ـــ هل تعرفنى ؟!

أضيئت الحجرة فجأة ، واستدار الرجل بمقعده يواجه (ممدوح) ، قائلًا :

ـــ بالطبع .. وأعرف أيضًا أنك قد جئت إلى هنا خصيصًا من أجلى .. أليس كذلك ؟

تطلَّع (ممدوح) إلى ذلك الوجه ، وهو يحاول شحذ ذاكرته ، وتذكَّر أين رأى ذلك الرجل من قبل ، ثم لم يلبث أن هتف فى دهشة :

ـــ ولكنك ساقى حانة اللؤلؤ .

ابتسم الرجل ، قائلًا فى هدوء :

ـــ أُهنئك على ذاكرتك الجيِّدة أيها المقدَّم .. أنا هو بالفعل ، ولكن (أميلدو) يعرفنى باسم آخر .. باسم (الأخطبوط) .

حدَّق (ممدوح) فى وجهه بدهشة ، مغمغمًا :

ـــ أنت ؟!.. أنت (الأخطبوط) ؟!

الأخطبوط :

ـــ نعم .. هل يدهشك أن يكون (الأخطبوط) هو ساقٍ صغير ، فى حانة حقيرة رخيصة ؟.. من المفيد أن تعلم أن أكبر وأغلى الصفقات ، تدار فى أرخص الأماكن عادةً .. ففى حانة اللؤلؤ يلتقى كبار المهرِّبين بصغارهم ، وتُعقد دَوْمًا الاتِّفاقيات والصفقات السِّرِّية ، عن طريق وسطاء لأناس لهم مكانتهم ، داخل حجرات خاصَّة ، تتَّصل بالحانة بسِرْداب سِرِّىّ .. وموقعى البسيط على البار ، يجعلنى قريبًا دَوْمًا ، أراقب كل

العمليّات الكبْرى ، وكل من يعملون معى ، وتحت زعامتى ، دون أن يشكّ أحدهم فى حقيقة شخصيّتى .

واتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

ـــ إنها وسيلة فريدة للعمل السرّى ، لايضاهيها سوى تجهيزات الأمن فى قصرى .

ووضع ساقًا فوق الأخرى ، وهو يردف فى زهْو :

ـــ إنها وسائل قديمة ، استخدمها أجدادى ، لحمايتهم فى أثناء الثورة ، ولكننى ، وبعد أن ورثت عنهم ذلك القصر ، طوَّرت تلك الوسائل ، وأدخلت عليها بعض التعديلات التكنولوجية ، ولقد رأيت بنفسك أهمّ ما طوَّرته هنا .. فلقد رأيت بنفسك معاملنا ، حيث يتمّ تحويل الأفيون الخام إلى هيروين نقى ، ورأيت مخازنى السرِّيّة ، التى يتمّ نقل أكياس الهروين إليها ؛ تمهيدًا لشحنها إلى كل عملائنا ، وهناك مصعد آخر داخل المخزن ، يقود إلى المعامل .. كما أنك قابلت (أميلدو) ، الرجل الثانى فى منظمتى ، والذى يدير وينظّم كل الصَفَقات .. إنة الواجهة التى أحكم من خلالها تجارة الهيروين فى العالم .

ممدوح :

ـــ إنك حقًا أخطبوط حقيقى ، تمتدُّ أذرعه إلى كل الجهات .

الأخطبوط :

ـــ أشكر لك هذا الثناء أيها المقدّم .. والآن ، وبعد أن أشبعت كل فضولك ، حانت لحظة الحساب .. فالأشخاص الذين يعلمون كل هذا ، لا مصير لهم إلّا الموت ، وسيسعدنى أن أشاهد (جوجو) ، وهو يرسلك إلى الجحيم .

وبضغطة خفيفة على زِرّ خفىّ فى مسند مقعده ، انفتح باب جانبى للحجرة ، ودخل منه ذلك الدُب الآدمىّ ، الذى التقى به (ممدوح) من قبل فى المعمل ، ومن عينيه أطلّت نفس النظرة الوحشية ..

نظرة الموت ..

* * *



١٢ ـ حرب المخدّرات ..

انقض (جوجو) على (ممدوح) ، وحمله فى قوّة ، وألقى به فوق الأريكة ، التى انقلبت أرضًا ، وجلس (الأخطبوط) يراقب مايحدث فى استمتاع ، وكأنه يشاهد فيلمًا ممتعًا ، على حين نهض (ممدوح) متألمًا ، وقبل أن يأتى أيّة حركة للدفاع عن نفسه ، حمله (جوجو) مرّة أخرى ، وألقاه على جدار الحجرة ، ولكن (ممدوح) استعاد توازنه فى سرعة هذه المرّة ، وراوغ خصمه ، اعتمادًا على خفّة حركته ، بالمقارنة إلى ذلك الدُّبّ الآدمىّ ، الّذى بدا واضحًا أنه ينوى تحطيم ضلوعه وعظامه ، قبل أن يجهز عليه ..

والتقط عينا (ممدوح) تمثالًا معدنيًّا ، يمثّل فارسًا يحمل رمحًا طويلًا حادًّا ، فقفز يحتمى به ، ولكن (جوجو) أزاح التمثال بقبضته فى بساطة ، وألقاه أرضًا بضربة واحدة ، ثم أطبق بقبضتيه الفولاذيتين على عنق (ممدوح) ، وهو يدفعه ليلتصق بالجدار ..

واختنقت أنفاس (ممدوح) ، وأوشكت حنجرته أن تتحطّم ، فرفع يديه إلى أعلى ، وأمسك بشمعدان كهربائى مثبّت بالحائط ، وانتزعه من مكانه ، وهوَى به بكل ما يملك من قوّة على رأس الدُّبّ الآدمىّ ، الذى لم يُبْدِ أىّ نوع من التأثُّر ، على الرغم من الدّماء التى سالت على رأسه ووجهه ، وبدا وكأن شيئًا واحدًا يملأ عقله ، ألا وهو القضاء على (ممدوح) .

وفى محاولة يائسة أخيرة ، أمسك بأسلاك الشمعدان الكهربىّ المقطوعة ، وألصق قطبيها برأس (جوجو) ، الذى انتفض فى قوة ، حينما سرَى التيار الكهربى فى جسده ، ورفع كفّيه عن عنق (ممدوح) ، الذى شعر بالارتياح والامتنان ، لذلك الحذاء المطاطىّ الذى يرتديه ، والذى حماه من سرَيان التيار الكهربىّ فى جسده ، وخاصّة حينما هوَى الدُّب أرْضًا ، وقد اسودَّ وجهه ، وتجمّدت أطرافه ..

وتحسّس (ممدوح) عنقه ، غير مصدّق بنجاته ، وحانت منه التفاتة إلى حيث يجلس (الأخطبوط) ، فتجمّد فى مكانه مرّة أخرى .. فلقد قرّر زعيم المنظمة أن ينهى الأمر بوسيلة تقليدية ، فأخرج مسدّسه ، وصوّبه نحو (ممدوح) و ....

وأطلق النار ..

* * *



وفى محاولة يائسة أخيرة ، أمسك بأسلاك الشمعدان الكهربىّ المقطوعة ، وألصق قطبيها برأس (جوجو) ..

قفز (ممدوح) أرضًا فى اللحظة المناسبة ، وسمع أزيز رصاصة (الأخطبوط) ، وهى تمرق فوق رأسه ، ووجد رمح الفارس المعدنى على الأرض إلى جواره ، فاختطفه فى سرعة ، وألقاه بكل ما يملك من قوة نحو (الأخطبوط) ..

واخترق الرمح صدر (الأخطبوط) ، ونفذ من ظهره ، ليغوص فى مسند المقعد الخلفى ، وجحظت عينا الزعيم ، وسالت الدّماء من فمه ، ثم انتهى كل شىء .

وتنفَّس (ممدوح) الصُّعَدَاء ، وغمغم وهو يتطلَّع إلى جثة (الأخطبوط) :

ـ إنها النهاية التى تستحقُّها .

تناهى إلى مسامعه ، فى تلك اللحظة ، صوت تبادل إطلاق نيران فى الخارج ، فأدرك أن (برناردو) قد بدأ خوض معركة ضد منظمَّة (الأخطبوط) ، فاستطرد فى حزم :

ـ مازالت أمامى مهمَّة أخيرة ؛ لاقتلاع ذلك الشرّ من جذوره .

واستقلَّ المصعد ، الذى جاء به إلى وكر (الأخطبوط) ، وهبط إلى حيث مخزن الأسلحة ، حيث التقط عدة قنابل إليكترونية ، يتم تفجيرها عن بعد ، وثبَّت بعضها داخل مخزن

الهيروين ، ثم استقلَّ المصعد الآخر إلى المعامل ، التى أصبحت خالية ، بعد أن بدأ هجوم (برناردو) ورجاله ، وثبَّت هناك بعض القنابل الأخرى ، ثم عاد إلى مخزن الهيروين ، واستقلَّ المصعد الصغير ، عائدًا إلى القبر الرخامى ، وهو يحمل مدفعًا آليًّا ، وجهاز التفجير ..

وشقَّ (ممدوح) طريقه عَبْر ساحة المعركة ، وهو يطلق مدفعه الآلىّ فى كل الاتجاهات ، متجهًا نحو المزرعة ، حتى سمع صوتًا يهتف به :

ــ انبطح أرضًا .

ألقى (ممدوح) نفسه أرضًا بحركة تلقائية ، وعَبَر فوقه وابل من الطلقات النارية ، ورصاصة واحدة من الاتجاه المضاد ، أعقبها صوت صرخة مُدوِّية ، والتفت (ممدوح) خلفه ، ليرى (أميلدو) خارجًا من بين الأشجار المحيطة بملعب (الجولف) ، رافعًا يديه إلى أعلى ، وقد سالت منها الدماء ، وهو يهتف فى ذُعر :

ــ إننى أستَسْلِم .. هل تسمعنى ؟.. إننى أُستَسْلِم .

اندفع أحد رجال الأمن يلتقط مدفع (أميلدو) ، على حين برز (برناردو) فى الجهة الأخرى ، شاهرًا مسدَّسه ، الذى مازال الدُّخَان يتصاعد من فُوَّهته ، فابتسم (ممدوح) ، وهو ينهض قائلًا :

ــ أعتقد أننى أستحق دَوْرَ المنقِذ هذه المرَّة .

ضحك (ممدوح) ، وهو يقول :

ــ إنك تأتى فى توقيت مناسب تمامًا .

برناردو :

ــ لقد طوَّقنا المزرعة بالكامل تقريبًا ، ونحن نستعدّ لمهاجمة القصر العتيق ، ومعى هنا قوات كافية من رجال الجيش والأمن ، وأمْرٌ من وزير الداخلية شخصيًّا ، بمهاجمة ذلك المكان الملعون ، بعد أن رويت له كل الأحداث والتفاصيل .. ولقد تمَّ اعتقال عدد من كبار المسئولين ، على نحو عاجل وسريع ، من بينهم رئيس إدارة مكافحة المخدراتْ ، بناءً على أوامر الوزير .

ممدوح :

ــ لقد حقَّقت إنجازًا طيِّبًا يا (برناردو) ، ولكننى أقترح تأجيل الهجوم على القصر العتيق الآن .

برناردو :

ــ لماذا ؟

أجابه (ممدوح) فى هدوء ، وهو يضغط زِرَّ جهاز التفجير :

ــ لأننى أنوى تدميره تمامًا .

دوَّى انفجار هائل ، وتناثرت الشظايا على مدًى كبير ،

وتصاعدت أبخرة هائلة ، فهتف (برناردو) فى ذُهول :

ــ ماذا فعلت ؟

ممدوح :

ــ إننى أضع النّهاية يا صديقى .. نهاية (الأُخْطَبوط) ..

* * *

جلس (ممدوح) داخل الطائرة ، التى تقلّه إلى (القاهرة) ، يطالع تحقيقًا فى إحدى المجلّات ، عن الإدمان ، وعن حالات بعض الأشخاص ، الذين دمَّرتهم المخدرات ، ونسجت حولهم العشرات من القصص المأساويّة المؤلمة ..

ولم يستطع (ممدوح) إكمال المقال ، فطوى المجلّة ، وألقاها إلى جواره ، وتطلّع عَبْرَ نافذة الطائرة ، وهو يغمغم فى ارتياح :

ــ أرجو أن أكون قد أسهمت بنصيب جيِّد فى محاربة هذه السُّموم ، التى ابْتُلِىَ بها البَشَر .

" ومن بعيد ، بدت له إحدى السحب أشبه بالأُخطبوط .. بأخطبوط يحتضر ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦٢٠

المؤلف



ا . شريف شوق

ذراع الأخطبوط

وحان دور الكتلة الخشبية ، التى قيِّد إليها (ممدوح) ، وراحت تقتـرب من أسنان المنشار الكهربى فى بطء ، حتى أيقن (ممدوح) من الهلاك ، وقد أصبح على قيد خطوات من أسنان الموت .

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات
بوليسية للشباب
من الخيال العلمى

٣٧

العدد القادم

سـرقة الاخـتراع

الثمن فى مصـر ٦٠ جـ وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربيـة والعالـم